

تقديم

أواخر عام 1982، وكنت آنذاك مقيماً في روما، حيث كنت أعمل مدرساً للغة العربية، اتصل بي الصديق علي رمضان أبوزعكوك، وكان في ذلك الوقت مفوض الإعلام في الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا، ورئيس تحرير المجلة التي قررت الجبهة إصدارها واتخذت اسم (الإنقاذ)، وسألني إن كنت محتفظاً بنماذج من قصائد الشعر التي كان يعرف أنني نشرتها خلال عقد الستينيات، وإن كنت لا أمانع في نشر بعضها في المجلة.

أجبت أخي علي بأن تلك القصائد قد كتبت في ظل ظروف مختلفة تماماً عن تلك التي صرنا نعيشها تحت حكم القذافي، وأنها غير مناسبة إطلاقاً للظروف الجديدة. لكن مكالمة أخي علي أخذت تفعل فعلها في نفسي، وربما أخذت تزيح الرماد عن بقايا نار الإبداع

الشعري التي كانت قد انطفأت منذ زمن بعيد.
وبالفعل أخذت أتساءل إن كان ما زال
بإمكاني أن أكتب الشعر من جديد. وكما
يحدث عادة للشعراء، لم يدع لي ذلك
الهاجس فرصة للراحة، حتى شرعت أردد
بيني وبين نفسي المقاطع الأولى من قصيدة
(قطار الموت)، وكانت المفاجأة الكبرى
اكتشافي أنني ما زلت قادرًا على نظم الشعر.

عندما أرسلت تلك المحاولة إلى أخي
علي، ولم أكن واثقًا تمامًا أنها قد تلقى
القبول، فوجئت به يتصل بي مبدئيًا إعجابه
وكل من قرأ القصيدة.

وهكذا كانت البداية. اتخذت اسمًا حركيًا
هو (موسى عبد الحفيظ). وكان اختيارًا
عشوائيًا تمامًا. علمت فيما بعد أنه يتطابق مع

اسم أحد الضباط الكبار في جيش القذافي
هو (مسعود عبد الحفيظ).

حفزني ذلك التشجيع الذي لقيته القصيدة
الأولى على مواصلة المحاولة. فكانت
القصيدة الثانية (إن لم يتغير ما فينا). ثم لم
يلبث أن تحول الأمر إلى التزام أدبي تجاه
مجلة (الإنقاذ) وتجاه رفاقي المناضلين في
الجبهة وأبناء وطني عامة، فصارت قصيدة
(موسى عبد الحفيظ) مادة ثابتة في كل عدد
من أعداد المجلة، تعارف مخرجو المجلة
على أن يفسحوا لها الصفحتين الوسطيين من
كل عدد.

وكانت الأحداث وتطوراتها داخل الوطن
وخارجه هي التي تملي عليّ الموضوعات
التي أتناولها في القصائد، ما أدى إلى أن

تكون القصائد، على نحو ما، أشبه بتأريخ
للحوادث، ومتابعة تلبس لبوس الشعر
والخيال والفن، قبل أن تقف منها موقف
المؤرخ الدارس.

في هذه الطبعة من الديوان أشعر بما لا
يسع الكلامَ وصفهُ من السعادة والغبطة
والفخر والاعتزاز، إذ يتاح لي أن أقدم هذه
القصائد إلى القراء باسمي الحقيقي، الذي
اضطرت اضطراراً لإخفائه في مرحلة
النضال ضد حكم الطغيان والاستبداد.

وقد كان مبعث سعادة ورضا لي
مضاعفين أن وجدت عدداً كبيراً من قصائد
الديوان تكاد تنطبق على هذه اللحظة
التاريخية الرائعة التي نعيشها، حتى أنني حين
سجلتها بصوتي وأذيعت عبر الإذاعة أو وصلت

إلى البعض نسخ مطبوعة منها، اعتقد كثيرون
أنها قيلت من وحي اللحظة الحاضرة، وأنها
تخاطب الطاغية المهزوم، وهو يختبئ في
وكره في باب العزيزية منتظراً نهايته
المحتومة على أيدي الثوار الأبطال؛ تلك
النهاية التي نراها رأي العين آتية لا رب فيها،
وعندها يفرح الليبيون بنصر الله، وبشرعوا في
كتابة الحروف الأولى من السفر الجديد
لتاريخهم المجيد.

الشاعر

بنغازي في 25/5/2011

قطار الموت

فبراير 1983

يَهْدِدُنَا ذَاكَ الْأَفَاقُ..
يَقْطَارُ الْمَوْتِ الزَّاحِفِ مِنْ خَلْفِ الْأَفَاقِ
لَكِنَّا نَصْرُخُ فِي وَجْهِ الطَّاغِي ..
هَيْهَاتَ .. فَزَمَنُ الزَّيْفِ مَضَى..
الشَّعْبُ أَفَاقُ..
وَوَرَاءَ جُنُونِكَ وَأَكَاذِيكَ لَنْ يَنْسَاقُ..

* * *

يَمِلُّ السُّخْطُ..
وَمِلُّ الْعَيْظِ الرَّابِضِ مُتَنْظِرًا فِينَا..
نَصْرُخُ فِي وَجْهِ الْكَذَّابِ الْبَاغِي..
الْمَوْتُ، بِفَضْلِكَ، قَدْ عِشْنَاهُ..
وَعَاشَرْنَاهُ..
وَذُقْنَا طَعْمَ مَرَارَتِهِ حَتَّى الْأَعْمَاقِ..

وَجَرَبْنَا مِنْ أَيْنَ يَحْيَىٰ..
وَكَيْفَ يَحْيَىٰ..
وَكَيْفَ يَكُونُ خَسِيسًا نَذْلًا دُونَ خَلْقٍ..
يَفْضَلُ يَدِيكَ الْمُجْرِمَتِينَ..
عَرَفْنَا أَنَّ الْمَوْتَ لَهُ أَخْلَاقٌ.

* * *

تَتَوَعَّدُنَا ، عَجَبًا ، بِالْمَوْتِ..
وَتَزْعُمُ أَنَّكَ مِنْهُ سَوْفَ تَنْجِينَا..
وَنَحْنُ الْمَوْتُ رَأَيْنَاهُ يَتَجَسَّدُ فِيكَ..
يَرْبُو فِي جَوْفِكَ..
يَنْضَحُ مِنْكَ..
وَيَقْطِرُ مَسْمُومًا مِنْ فِيكَ..

* * *

عَبَثًا تَتَوَهَّمُ..
أَنَّكَ عَنْ دَمِنَا الْمَسْفُوكِ تَلْهِينَا..

فَأَيْنُ رَصَاصَاتِ الإِعْدَامِ تَشُقُّ صُدُورَ
المَظْلُومِينَ..
وَتَأْرَجُ حَبْلَ المِشْنَقَةِ المَنْصُوبَةِ فِي
المِيدَانِ.
وَصَرَخُ المَقْهُورِينَ العُزْلِ فِي ظُلُمَاتِ
السِّجْنِ..
مَا زَالَ يَقُضُّ مَضَاجِعَنَا..
وَبُصْمُ صَدَاهُ مَسَامِعَنَا..
وَيَجْمَدُ دَمْعَ النِّقْمَةِ فِي أَعْمَاقِ مَآقِينَا..
عَبَثًا تَتَوَهَّمُ أَنَّكَ مَا افْتَرَقْتَهُ يَدَاكَ سَتَسِينَا.
عَبَثًا تَتَوَهَّمُ أَنَّكَ بَعْدَ اليَوْمِ سَتَشْغُلُنَا..
عَمَّا سَطَّرْتَ يَحِبُّرَ القَهْرِ عَلَى صَفَحَاتِ
مَآسِينَا..
عَمَّا أَطْفَأْتَ مِنَ البَسَمَاتِ عَلَى أَزْهَارِ
أَمَانِينَا..

كَلَّا .. كَلَّا..
الْيَوْمَ انبَلَجَتْ شَمْسُ الْحَقِّ..
وَلَيْلُ الْغَفْلَةِ قَدْ وَلَّى..
قَدْ فَاضَتْ مِنَّا كَأْسُ الصَّبْرِ..
وَقَدِرُ الثَّارِ غَلَا غَلًا..
* * *

كَلَّا .. كَلَّا..
مَا أَبْعَدَ مَا تَحْتَالُ لَهُ..
إِنْ كُنْتَ تَظُنُّ بِأَنَّكَ بِالْمَوْتِ الْوَهْمِيُّ
سَتَشْغَلُنَا..
عَنْ رُوحِ شَهِيدٍ مَا انْفَكَّتْ ..
تَسْتَصْرِخُ نَخْوَةً نَخْوَتِنَا..
عَنْ ظِلِّ أَسَى..
فِي وَجْهِ يَتِيمٍ..
يَصْفَعُ وَجْهَ مَرْوَعَتِنَا..
* * *

عَنْ دَمْعَةٍ حُزِنٍ فِي مُقْلَةٍ أُمَّ تَكَلَّى..

* * *

عَبَثًا تَحْتَالُ لِتَشْغَلَنَا..
عَدُوٌّ غَيْرُكَ لَيْسَ لَنَا..
مِنْ عَهْدِكَ هَذَا الْأَسْوَدِ قَدْ أَيْنَعَتِ الرَّأْسُ..
وَإِنَّ الْقَطْفَ لَهَا حَلَا..
فَتَرَقَّبْ عَنْ كَتَبِ سَتَطِيرُ..
السَّيْفُ مِنَ الْغِمْدِ اسْتَلَا..

إِنَّ لَمْ يَتَغَيَّرْ مَا فِيْنَا ..

يوليو 1983

قَدْ فَاضَ الْكَيْلُ، وَحَلَكَ اللَّيْلُ..
وَقَدْ بَلَغَ الْمَجْنُونُ مَدَاهُ..
وَنَحْنُ نَنَامُ بِمَجْرَى السَّيْلِ..
وَنَحْلُمُ أَنْ يُفْرَجَهَا اللَّهُ.

* * *

نِيَامًا كُنَّا، حِينَ تَسَلَّلَ مَخْبُولٌ فِي جَنَحِ
اللَّيْلِ..

وَعَاقِلَ مَجْمُوعِ الْحُرَّاسِ..
وَعِنْدَ الْفَجْرِ غَدًّا مَلِكًا..
يَتْرِبُ نَشْوَانَ عَلَى الْعَرْشِ..
وَيَلْبَسُ تَاجًا فَوْقَ الرَّاسِ..

* * *

نِيَامًا كُنَّا مِثْلَ الْبُهَمِ، وَكَانَ الرَّاعِي نَعْسَانَا

وَحِينَ أَفَقْنَا عِنْدَ الْفَجْرِ، وَجَدْنَا الْأَبْلَهَ
سُلْطَانًا..
أَخَذَتْنَا الدَّهْشَةَ..
عَقَدَتْ مِنَّا الْأَلْسُنَ..
عَطَلَتْ الْإِحْسَاسَ..
لَمْ نَصْرُخْ فَرْعًا..
لَمْ تَتَمَلَّمْ..
لَمْ نَحْتَجْ..
كَأَنَّا كُنَّا صُمًّا ، بُكْمًا ، عَمِيَانًا..
وَبَقِيَ الْأَبْلَهُ سُلْطَانًا..
يَأْمُرُ ، يَنْهَى ، فَتَطِيعُ النَّاسَ..
وَقَامَ الْحَاجِبُ ، رَفَعَ الْكَفَّ ، وَصَاحَ:
لِيَحْيَا مَوْلَانَا..
فَعَلَّتْ صَيْحَاتُ الْمَخْدُوعِينَ تَرْدُّدًا: يَحْيَا
مَوْلَانَا.

* * *

لَا يُجِدِي أَنْ تَبَاكَى الْيَوْمَ..
عَلَى مُلْكٍ نَحْنُ أَضَعْنَاهُ..
وَلَنَجْرَعُ كَأْسَ الْأَسْفِ الْمُرِّ..
فَلَنْ تَنْفَعَنَا وَأَسْفَاهُ..
فَالْغُرُّ الْمَخْبُولُ لَنَا مَلِكًا..
مَا صَارَ.. وَلَكِنْ صِيرْنَاهُ.

* * *

حِينَ سَقَطْنَا فِي قَاعِ الْخَوْفِ..
تَجَمَدَ فِينَا عِرْقُ الرَّفْضِ..
وَمَاتَتْ فِي الصَّدْرِ الْكَلِمَاتُ..
وَعَطَّتْ أَفْقَ الْحَقِّ غَيُومُ الزَّيْفِ..
وَنُصِبَتْ لِلْبَاطِلِ رَايَاتُ..

* * *

حِينَ فَقَدْنَا عَزْمَ الْإِيمَانِ..

جَبْنَا وَتَمَلَّكْنَا الْخَوْفُ..
ارْتَعَشَتْ يَدُنَا..
سَقَطَ السِّيفُ..
وَبِتْنَا صَرَعى فِي الْمِيدَانِ..
طَاطَانَا الرَّأْسَ..
وَعُصْنَا فِي وَحْلِ الذَّلَّةِ..
صَارَ الْوَاحِدُ مِنَّا يَخْشَى ظِلَّهُ..
تَلْفَعْنَا يَتَّقَى الْجُبْنَاءِ..
وَلِذُنَا فِي صَمْتِ الْأَمْوَاتِ..
تَتَحَلَّقُ أَعْقَابَ الصَّلَوَاتِ..
نَرْفَعُ أَيْدِينَا بِالِدَعَوَاتِ..
"الطُّفُ يُقَضَائِكَ يَا رَحْمَنُ"
وَعَدَوْنَا نَرْقُبُ مَا يَجْرِي..
فِي حَذَرٍ مِنْ خَلْفِ الْجُدْرَانِ..
نَحْرِقُ فِي السَّرِّ بِخُورِ الضَّعْفِ..
وَنَقْرَعُ بِنَدِيرِ الْخِذْلَانِ..
نَبْحَثُ فِي رَمْلِ التَّقَازِينِ..

وَنَسَّالُ قُرَّاءَ الْفِنْجَانِ..
عَنْ بَطَلٍ يَعْرِفُ حَلَّ اللَّغْزِ..
فِيَهْزَمُ تَتِينِ الطُّغْيَانِ..
عَنْ بَطَلٍ يُطَلِّقُ صَوْتَ الرَّفْضِ..
وَيَرْفَعُ رَايَاتِ الْعِصْيَانِ..

* * *

عَبَثًا مَا نَرَجُو..
مِنْ تَخْرِيفِ الْعَرَّافِينَ..
وَمِنْ أَضْغَاثِ الْحَلَامِينَ..
فَعَصَرَ الْأُسْطُورَةَ قَدْ فَاتَ..
الظَّالِمُ يَتِمَادَى فِي الظُّلْمِ..
وَنَحْنُ نُكَافِحُهُ بِالْحُلْمِ..
وَبِالْأَذْكَارِ وَبِالدَّعَوَاتِ..

* * *

عَبَثًا تَتْرَكَ فِي الْغَمِّ السَّيْفِ..
وَيَعِشُّ فِي دَاخِلِنَا الْخَوْفِ..
وَنَقُولُ: اللَّهُ سَيَحْمِينَا..
اللَّهُ سَيَرْفَعُ عَنَّا هَذَا الْحَيْفِ..

وَبِعَصْمِنَا وَنَجِينَا..
عَبَثًا .. مَا دَمْنَا مَعْتَصِمِينَ يَحْبِلُ الزَيْفُ..
نَحْلُمُ أَنْ يَنْزَلَ عَيْثُ اللَّهِ..
لِيُفْرَجَ عَنَّا مَا نَلْقَاهُ..
إِنْ لَمْ يَتَغَيَّرْ مَا فِيْنَا..

فإلام السكوت

أكتوبر 1983

يا بني أُمَّتِي لَقَدْ بَلَغَ السَّيْلُ
زُبَاهُ فَإِنَّ أَنْ تَسْتَفِيحُوا

ضَجَّتِ الْكَائِنَاتُ مِمَّا
فَكَيْفَ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تُطِيقُوا

أَنْ يَلِيَّ أَمْرَكُمْ لَقَيْطُ رَمْتِهِ
فِي حِمَاكُمْ عِبْرَ الظَّلامِ

جَاهِلٌ يَدْعِي الْفَطَانَةَ كَذَّابٌ،
مَرِيضٌ ، مُنَافِقٌ ، زَنْدِيقٌ

وَحَوَالِيهِ حَفْنَةٌ مِنْ عِيَالٍ
شَانَهَا الرِّقْصُ عِنْدَهُ وَالنَّقِيقُ

كَلَّمَا قَامَ فِي الْمَحَافِلِ يَهْدِي
ضَجَّ مِنْهُمْ لِسُخْفِهِ التَّصْفِيقُ

لَفَظَ التَّرَهَاتِ قَالُوا : حَكِيمٌ
وَمَشَى عَارِيًّا، فَقَالُوا: أَيْقُ

وَتَمَادَوْا حَتَّى دَعَوْهُ نِيًّا
وَادْعَوْا أَنَّهُمْ لَهُ الصَّدِيقُ

وَسَقَّوهُ خَمْرَ النِّفَاقِ وَقَالُوا
قُمْ وَحَدِّثْ، فَشَانْنَا التَّطْيِيقُ

عَبَّ مِنْهَا، فَدَعَدَعْتَهُ،
زَادَهُ الْمُسْتَطَابَ زَيْفٌ صَفِيقُ

يَا لَهَوْلِ الْمُصَابِ! كَيْفَ

لَمْ تَتُورُوا، لَمْ تَغْضَبُوا، لَمْ
قَدْ رَضِيْتُمْ مَا لَيْسَ يَرْضَى
وَاحْتَمَلْتُمْ مَا لَيْسَ حَرٌّ يَطِيقُ

مَنْكَرٌ يَزُكُّمُ الْأَنْوَفَ وَشَرٌّ
عَايَتْ فِي الْبِلَادِ حَرٌّ طَالِقٌ

وَمَرِيضٌ فِي وَسْطِ حَفْنَةٍ
أَصْبَحُوا سَادَةً، وَأَنْتُمْ رَقِيقٌ

قَدْ قِيلْتُمْ، فَصَارَ مَلَكًا مُطَاعًا
فِي يَدَيْهِ التَّوَسُّيعُ وَالتَّضْيِيقُ

وَعَفَوْتُمْ، فَزَادَ مِنْهُ التَّجَنُّبُ
وَسَكْتُمْ فَزَادَ مِنْهُ النَّعِيقُ

وَعَفَوْتُمْ حَتَّى تَحُولَ كَابُوسًا

وَقِيدًا فِي كُلِّ يَوْمٍ يَضِيقُ
فَانظُرُوا الْيَوْمَ كَيْفَ أَرَدَاكُمْ
وَيَتَمُّ يَخْشَى الشَّقِيقَ
وَتُسَامُونَ ذِلَّةَ الْأَرْضِ
أَهَذَا بِالْمُؤْمِنِينَ يَلِيقُ؟

فَالَامَ السُّكُوتِ، قَدْ هَاجَتِ
وَأَشْفَى عَلَى الْهَلَاكِ الْغَرِيقِ

وَمَتَى تَفْعَلُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا
لَيْسَ يَكْفِي الصُّرَاخُ

* * *

عجباً .. ماذا تنتظرون؟

مارس 1984

أَبْنِي وَطَنِي..
قَدْ زَادَ الْهَمُّ، وَعَمَّ، وَأَنْتُمْ تَنْتَظِرُونَ..
فَرَجًا مِنْ خَلْفِ تُخُومِ الْغَيْبِ..
يَأْتِي كَيْ يَمْسَحَ هَذَا الْعَيْبِ..
وَيُنَارَ لِلشَّرَفِ الْمَطْعُونَ..

* * *

عَبَثًا وَخِيَالًا مَا تَرْجُونَ..
فَفَرَجُ الْخَالِقِ لَا يَأْتِي..
لِلْأَنَاسِ فِي النَّوْمِ يَغُطُّونَ..

* * *

وَاعْجَبَا !! مَاذَا حَلَّ بِكُمْ..
فَلَكُمْ قَدْ بْتُمْ تَحْتَمِلُونَ..

تَحْكُمُكُمْ حَفَنَةُ دَجَالِينَ وَطَاغِيَةِ غِرَّ
مَجْنُونٍ..

يَأْمُرُ بِالْأَمْرِ ، فَتَأْتِمِرُونَ..

وَيُرِيدُ الْمَنْعَ ، فَتَمْتِنِعُونَ..

وَلَكُمْ يَسْمِعُكُمْ ، حِينَ يَشَاءُ ، سَخِيفَ الْقَوْلِ ،
فَتَسْتَمِعُونَ..

وَيَصُبُّ لَكُمْ فِي كَأْسِ الذُّلِّ ، صَبَاحَ مَسَاءَ ،
فَتَرْتَشِفُونَ..

وَبِكَادٍ يَقُولُ هَلُمَّوا أَدْفِنُكُمْ فِي الْوَحْلِ ،
فَتَنْدَفِنُونَ..

* * *

وَاعْجَبَا!! مَاذَا حَلَّ بِكُمْ؟

أَدْمَى أَصْبَحْتُمْ ، طَوَعَ يَدَيْهِ ، مَتَى يَلْمِزُكُمْ ،
تَهْتَرُونَ..

وَمَتَى يَرْفَعُكُمْ، أَوْ يَخْفِضُكُمْ، تَرْتَفِعُونَ
وَتَنْخَفِضُونَ..
أَبْهَائِمَ صِرْتُمْ.. حَيْثُ يَهْشُ عَلَيْكُمْ يَعْصَاهُ
تَهْشُونَ..
وَيَأْمُرُ مِنْهُ، تَنْسَاقُونَ، وَتَنْضَرِبُونَ،
وَتَنْذِرُونَ..

* * *

ما هَذَا؟
حَتَّى الْبَهْمُ تُدَافِعُ بِالْأَنْيَابِ وَالْأَظْفَارِ..
وَأَنْتُمْ فِي قَوْقَعَةِ الصَّمْتِ لَيْسْتُمْ صُمَّا
كَالْأَحْجَارِ..
تَفْشَى فِيكُمْ هَذَا الْأَهْوَجُ مَوْتًا وَخَرَابًا
وَدَمَارًا..
سَرَى فِيكُمْ مِثْلَ الطَّاعُونَ، وَهَبَّ عَلَيْكُمْ
كَالْإِعْصَارِ..

فَسَلَبَ الْأَرْضَ ، وَهَتَكَ الْعِرْضَ ، وَعَاثَ
يَكُلُّ الْحُرْمَاتِ..

مَا أَنْفَجَرْتَ يَالشُّكُورَى شَفَةَ..

مَا ارْتَجْتَ كَفَّ يَالْإِنْكَارِ..

تَكَفَّنْتُمْ فِي ثَوْبِ الذُّلِّ..

قَبَعْتُمْ مِثْلَ الْأَمْوَاتِ..

وَاجْتَلَّ السَّلْفِ..

وَاجْتَلَّ الْخَلْفِ..

وَاجْتَلَّ الْمَاضِي وَالْآتِي..

مِنْ هَذَا الْحَاضِرِ كَمْ أَمْسَى يَنْضَحُ بِالْعَارِ..

أَفَأَنْتُمْ أَحْفَادُ الشُّهَدَاءِ؟

أَأَنْتُمْ أَبْنَاءُ الْمُخْتَارِ؟

* * *

قَدْ حَرَقَ الشَّحْمَ..

وَأَكَلَ اللَّحْمَ..

وَبَلَغَ الْعَظْمَ لَهَيْبِ النَّارِ..

فَلَعَمْرِي مَاذَا تَتَّظِرُونَ؟
أَنْ تَسْقُطَ بِالْفَرَجِ الْأَمْطَارُ..
فَتَغْسِلَكُمْ مِنْ هَذَا الْعَيْبِ، وَتَمْسَحَ عَنْكُمْ
هَذَا الْعَارُ..
أَوْ تَحِيلَ بِالْبَطْلِ الْمُنْقِذِ رَحِمُ الْأَقْدَارُ..

* * *

عَبَثًا وَخِيَالًا مَا تَرْجُونَ..
مَا دُمْتُمْ تَسْتَحِلُونَ النَّوْمَ، وَتَضَعُونَ السَّاقَ
عَلَى السَّاقِ..
وَتَرْتَقِبُونَ ، يَلَا شَغْفٍ ، مَا تَكْشِفُ عَنْهُ
الْآفَاقُ..
قَالَ اللَّهُ الْقَادِرُ وَالرَّزَّاقُ..
مَا كَفَلَ الرَّزْقَ لِمَنْ نَامُوا..
بَلْ ضَمِنَ الْخَيْرَ لِمَنْ قَامُوا..
وَفَرَجَ كُرْبَةَ مَنْ بَدَلُوا

لِلنَّصْرِ الْأَنْفُسِ وَالْأَعْنَاقِ.

سوف نحيا

أبريل 1984

لَيْسَ يُجْدِي فِي رَدِّعِنَا
فَاطُغَ مَا شِئْتَ أَيُّهَا الْعَقِيدُ

مِثْلَمَا بَادَتْ الطُّغَاةُ جَمِيعًا
سَوْفَ نَحْيَا ، وَأَنْتَ حَتْمًا تَبِيدُ

فَأَشِيعُ بِالْأَذَى كِلَابَكَ فِينَا
وَتَغْنُنُ فِي الظُّلْمِ كَيْفَ تُرِيدُ

قَدْ عَرَفْنَا فِي ظِلِّ حُكْمِكَ
مِنَ الظُّلْمِ ، هَلْ لَدَيْكَ مَزِيدُ؟

فَابْذُرِ الشَّرَّ حَيْثُ تَخْطُو
تَتَلَوَّى عَلَى يَدَيْنَا الْقَيْوُدُ

سَوْفَ نَبْقَى شَوَامِخَ الرَّاسِ
زَادَ مِنْكَ التَّكْيِيلُ وَالتَّقْيِيدُ

وَلِيَزِدْ بِأَسْكَ الشَّدِيدِ فَقَدِمًا
صَنَعَ الثَّأِيرِينَ بِأَسْ شَدِيدِ

أَتَرَى السَّجْنَ يَنْقِصُ الْعِزْمَ؟
فَعُزُومُ الرِّجَالِ فِيهِ تَزِيدُ

فَأَفْتَحِ السَّجْنَ، إِنَّمَا السَّجْنَ
لِلَّذِي فِيهِ عِزْمَةٌ لَا تَمِيدُ

وَأَرْفَعِ السُّوْطَ ، لَنْ تَزْعَزَعَ
إِنَّمَا يَرْهَبُ السَّيَّاطَ الْعَيْدُ

كُنْ كَمَا تَشْتَهِي، وَعِدْ، وَتَوَعِدْ
وَلِيَدَوِي صُرَاخَكَ الرَّعْدِيدُ

قَدْ رَفَضْنَا، فَلَيْسَ يَنْفَعُ فِينَا
مِنْكَ وَعَدٌ، وَلَيْسَ يُجْدِي

إِنْ تَكُنْ قَدْ غَرَرْتَ قَوْمًا،
كَانَ بَيْنَ الرَّجَالِ فَرْقٌ بَعِيدٌ

هَاهُمْ الْخَائِفُونَ حَوْلَكَ
حَيْثُ تَمْضِي، تَأْتِيكَ مِنْهُمْ

وَاجْمَعِ التَّافِهِينَ خَلْفَكَ طُرًّا
أَنْتَ لِلتَّافِهِينَ نِدٌّ قَرِيدٌ

لَيْسَ يَدْعَا أَنْ قُدَّتْ مِنْهُمْ
مِثْلَ كَلْبٍ قَطِيعَ بِهِمْ يَقُودُ

أَشْبِعُوا زَهْوَكَ الْمَرِيضِ
ثُمَّ عَادُوا يَمَا عَلَيْهِمْ تَجُودُ

يُسِّمُ مَنْ يَقْصِدُونَ ، لَسْتَ
إِنَّمَا اللَّهُ وَحْدَهُ الْمَقْصُودُ

فَاصْنَعِ الْمُسْتَحِيلَ ، نَحْنُ
أَنْ تَرَى بَيْنَنَا مَطَاعًا تَسُودُ

وَلَفَظْنَا دَعْوَاكَ قِشْرًا وَلَبًّا
مِثْلَمَا يُلْفِظُ الطَّعَامُ الزَّهِيدُ

لَنْ تَرَانَا لِلْعَقِّ نَعْلِكَ نَجْتُو
لَيْسَ إِلَّا لِلَّهِ كَانَ السُّجُودُ

كَلَّمَا زِدْتَ فِي النَّامَةِ
وَالْبَغْيِ ، كَانَ مِنَّا الصُّمُودُ

قَدْ آيَبْنَا لَكَ الْخُضُوعَ وَإِنَّا
عَنْ سَبِيلِ الْجِهَادِ لَسْنَا نَحِيدُ

وَسَنَمُضِي بِمَهْدِ الدَّرْبِ
شَهِيدٌ يَتْلُو خُطَاهُ شَهِيدٌ

* * *

نحن آتون..

مايو 1984

قَدَرَ مَا عَثَتْ فِي الْيَلَادِ خَرَابَا
أَنْ يَا نَذُلُ أَنْ تَتَالَ الْعِقَابَا

دَقَّتِ السَّاعَةُ الرَّهِيْبَةُ فَأَنْظُرُ
كَيْفَ قُمْنَا وَقَدْ نَفَضْنَا التُّرَابَا

وَاسْتَعَرْنَا لَهَيْبَ حِقْدٍ وَرَفُضِ
يَتَلَطَّى تَوْهَجًا وَالتَّهَابَا

بَعْدَ أَنْ خِلْتَ أَنْ ظَلَمَكَ
عَلَى رَأْسِنَا مُطَاعًا مُهَابَا

رُمْتَ جَهْلًا أَنْ تَسْتِيدَ وَنَرُضِي
وَتَلِي الْأَمْرَ عُنُوءَةً وَاعْتِصَابَا

وَتُرِينَا مَا شِئْتَ مِنْ تُرَاهَاتِ
وَنُرِيكَ الْإِطْرَاءَ وَالْإِعْجَابَا

وَتَرَبَّعْتَ فَوْقَ عَرْشِكَ بَغِيًّا
وَاتَّخَذْتَ الْأَسْمَاءَ وَالْأَلْقَابَا

وَحَسِبْتَ الطُّغْيَانَ يُجْدِيكَ
فَانظُرِ الْيَوْمَ كَمْ أَسَاتِ

رُمْتَ صَعْبًا ، وَالْآنَ تَعْرِفُ أَنَّ
يَكُ مَا تَبْتَغِيهِ إِلَّا سَرَابَا

نَحْنُ قَوْمٌ غَيْرُ الْكِرَامَةِ لَا
طَعَامًا ، وَلَا نَسِيغُ شَرَابَا

وَوَظَلَّلْنَا نَزْدَادُ فِي الرَّفْضِ

زَدْتَ خَوْفًا ، فَزَدْتَنَا إِرْهَابًا
وَصَبَرْنَا عَلَيْكَ حَتَّى تَمَادَيْتَ
فَأَشْبَعْتَنَا أَدَى وَعَذَابًا

وَاحْتَمَلْنَا حَتَّى تَرَعْرَعُ وَحَشُّ
الثَّأْرِ فِينَا وَأَنْبَتَ الْأَنْبِيَاءِ

فَزَحَفْنَا عَلَيْكَ زَحْفَ أُسُودٍ
يُرْجَالٍ لَا يَرُهْبُونَ الصَّعَابَا

حِينَ دَوَّى الرَّصَاصُ قُؤْمَتَ
تَجْرِي، وَقَدْ أَضَعْتَ الصَّوَابَا

وَرَأَيْنَا قَدْرَ الشَّجَاعَةِ لَمَّا
كِدْتَ تَقْضِي مَخَافَةً وَارْتِعَابَا

هَلْ تَرَى الْاِخْتِيَاءَ يَنْجِيكَ مِنَّا

فَالْبَسِ الدَّرْعَ ، وَالزِّمَّ
وَاجْمَعِ الحَارِسِينَ مِنْ كُلِّ
لَنْ تَكُونَ الْكِلَابَ إِلَّا كِلَابًا

وَاصْنَعِ الْمَخْبَأَ الَّذِي تَتَمَنَّى
وَحَدِيدًا فَلْتَجْعَلِ الْأَبْوَابَ

نَحْنُ أَتُونَ .. فَالْتَمِسْ أَيْنَ
وَلِمَنْجَاتِكَ ابْتَغِ الْأَسْبَابَ

يَنْ تَمْضِي؟ وَنَحْنُ حَوْلَكَ
كُلَّ يَوْمٍ تَزْدَادُ مِنْكَ اقْتِرَابًا

هكذا يكون الفداء

مايو 1984

هَكَذَا هَكَذَا يَكُونُ الْفِدَاءُ
وَتَكُونُ الْبَطُولَةُ السَّمَاءُ

زَحَفَتْ فِتْيَةٌ إِلَى الْمَوْتِ زَحْفًا
رُوِعَتْ مِنْ دَوْبِهِ الْأَعْدَاءُ

هَزَّءُوا بِالرَّدَى ، فَهَبُوا إِلَيْهِ
إِنَّ ذَا الْعِزْمِ بِالرَّدَى هَزَاءُ

وَأَجَّهُوا بِالصُّدُورِ نَارًا تَلْظَى
حِينَ لَادَتْ بِالْأَدْرَعِ الْجَبْنَاءُ

وَقَضَوْا صَامِدِينَ يَرُوبِهِمْ
وَتَحَدُّوْا خُطَاهُمْ الْكِبْرِيَاءُ

يَا أَحْيَاءُ .. قَدْ وَفَيْتُمْ بِعَهْدِ
وَعَلَى الْوَاعِدِينَ حَقَّ الْوَفَاءِ

قَدْ بَدَلْتُمْ أَرْوَاحَكُمْ، فَجَزَيْتُمْ
جَنَّةَ الْخُلْدِ أَيُّهَا الشُّهَدَاءُ

كَمْ دَعَوْتُمْ أَنْ تُوهَبُوا شَرَفَ
فَطُوبَى لَكُمْ أَجِيبَ الدُّعَاءِ

قَدْ أَرَدْتُمْ لَنَا الْحَيَاةَ، فَمِتُّمْ،
فَغَدَوْتُمْ وَأَنْتُمْ الْأَحْيَاءُ

وَتَرَكْتُمْ لِلْأَرْضِ مَا هُوَ مِنْهَا
حِينَ زَفَيْتُمْ إِلَيْهَا السَّمَاءَ

عَفَوْا أَرْوَاحَكُمْ ، أَيَّصْبُوا مَدِيحًا

أَنْ يُدَانِي سَمَوَهَا أَوْ ثَنَاءُ
أَيْنَ شِعْرٍ يَخْطُهُ الْحَبْرُ مِمَّا
فِي سَجِلِّ الْعُلَا تَخُطُّ الدَّمَاءُ

يَا أَحِبَاءَ .. أَيُّ بَشْرٍ تَهَادَى
حِينَ زَفَّتْ بِشْرَاكُمْ الْأَنْبَاءُ

أَيُّ نُورٍ أَشْعَرَ حِينَ هَلَلْتُمْ
مِثْلَ شَمْسٍ يَضِيقُ عَنْهَا

أَذْهَبَتْ جَنَّةَ الْكَرَى عَنْ
كَانَ يَوْمًا أَصَابَهَا الْإِغْفَاءُ

مِنْ صَدَى خَطْوِكُمْ تَزْحَزِحُ
اللَّيْلُ عَنَّا، وَأَنْجَابَتِ الظُّلْمَاءُ

تَحْتَ ضَرْبَاتِكُمْ تَحْطَمُ رُكْنُ

وَإِخْضَرَ فِي النُّفُوسِ الرَّجَاءُ
بُعِثْتُ فِي مَوَاتِ هِمَّتِنَا
وَقَامَتْ مِنْ قَبْرِهَا الْأَشْلَاءُ

قَدْ قَضَيْتُمْ، وَكَانَ حَقًّا عَلَيَّ
فِي سَنَةِ الْوُجُودِ الْقَضَاءُ

حِينَ جَدْتُمْ بِالرُّوحِ عَلَّمْتُمُونَا
كَيْفَ يَحْلُو فِي الْمَكْرَمَاتِ

وَرَفَعْتُمْ لَنَا اللَّوَاءَ ، فَعَهْدًا
دَائِمَ الْخَفْقِ سَوْفَ يَبْقَى

وَسَيِّدِي الْأَبَاءُ ، مَنْ سَبَقُونَا
بِالْبَطُولَاتِ ، أَنَا الْأَبْنَاءُ

أَنعَمَ اللهُ عَلَيْهَا بِشَهِيدٍ

يونيو 1984

كَفَّفِي الدَّمْعَةَ يَا أُمَّ
وَأَرْقِي الهَامَةَ فَخْرًا

لَيْسَ مَنْ فِي القَبْرِ سَجَّوَهُ
فِي جِوَارِ اللهِ يَرْتَاحُ وَليَدِي

عَافَ أَنْ يَبْقَى ذَلِيلًا فَمَضَى
رَافِعَ الرَّأْسِ إِلَى دَارِ الخُلُودِ

وَأَبَى خَفَضَ جَبِينِ لَمْ يَرَى
نَازِلًا لِلأَرْضِ فِي غَيْرِ سَجُودِ

^(?) هذه القصيدة خاطب بها الشاعر والدته، مهنتاً إياها
ونفسه باستشهاد ابنها (عبد الباري) أحد شهداء
رمضان 1984، وجعلها تحية صالحة لخطاب كل أم
شهدت عبر الزمن، وفي كل مكان.

لَفَظَ الدُّنْيَا وَقَدْ مَجَّ بِهَا
رُؤْيَةَ الأَحْرَارِ فِي ذُلِّ القِيُودِ

وَأَبْتَغَى الأُخْرَى بِقَلْبِ خَالِصٍ
وَأَمْتَطَى صَهْوَةَ عَزْمٍ

لَمْ يَكُنْ يَنْتَبِهْ عَنِ مَبْدئِهِ
بَهْرَجِ الوَعْدِ، وَلَا نَارِ الوَعِيدِ

كَيْفَ لَا يَفْعَلُ؟ هَذَا وَلَدِي
أَنَا قَدْ أَلْقَمْتَهُ ثَدِي الصَّمُودِ

رَضَعَ العِزَّةَ مِنِّي فَاسْتَحَى
أَنْ أَرَاهُ يَرْتَضِي عَيْشَ العَيْدِ

وَسَمَا إِذْ هَبَطَتْ جَنَّتُهُ

فِي الثَّرَى حَتَّى تَمَادَى فِي
وَلَدِي مَا مَاتَ ، بَلْ وَدَعَنِي
لِلِقَاءِ عِنْدَ خَلْقِ الْوُجُودِ

خَرَصَتْ أَلْسُنٌ مَنْ قَالُوا
هُوَ لَبِيٌّ حِينَ لِلْجَنَّةِ نُودِي

هُوَ حَيٌّ ، وَدَّ أَنْ يَسِيقَنِي
عَلَيْهِ يَشْفَعُ لِي عِنْدَ وَرُودِي

أَيُّهَا الْبَاكُونَ حَوْلِي وَبِحَكْمِ
كَفِّفُوا الدَّمَعَ ، وَغَنُوا

لَا تُعْزُونِي كَمَنْ قَدْ ثَكَلْتُ
بَلْ تَعَالَوْا هُنَّوَا ، ذَا يَوْمِ

لَمْ يَكُنْ دَمْعَ حَزِينٍ مَا جَرَى

فِي سَمَاءِ عَيْنِي ، بَلْ دَمْعُ
إِنَّمَا تَحْزَنُ مَنْ قَدْ فَقَدَتْ
وَأَنَا كُوفِئْتُ بِالْفَوْزِ الْأَكِيدِ

وَلَدِي قَدْ جَدْتُ لَهٗ بِهِ
فَتَوْلَانِي بِجُودٍ فَوْقَ جُودِي

فَاهْتَفُوا حَوْلِي : أَلَا طُوبَى
أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِشَهِيدِ

قفوا للظلم

ديسمبر 1984

أَلَا أَيُّهَا النَّوَامُ قَدْ طَالَ
وَنَارُ الْأَذَى فِيكُمْ تَغَشَى

وَكَمْ صَدَعَتْ بِالْحَقِّ صَرَخَاتُ
إِلَيْكُمْ فَضَاعَتْ، لَمْ تَجِدْ مَنْ

تَقُولُ لَكُمْ ذِي النَّارِ دَبَّتْ
إِذَا لَمْ تَصُدُّوْهَا تَمَادَى دَيْبِهَا

فَلَمْ تَسْتَيْبِنُوا النَّصْحَ إِلَّا وَقَدْ
يُفَاجِئُكُمْ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ

وَلَمْ يَبْقَ فَرْدٌ نَاجِيًّا مِنْ
وَلَا فِتْنَةٍ إِلَّا أَتَاهَا نَصِيبُهَا

وَعَطَّى دُخَانُ الْيَاسِ أَفُقَ
وَسَدَّتْ بِأَشْبَاحِ الْهَلَاكِ دُرُوبُهَا

فَأَغْمَضْتُمْ الْأَجْفَانَ مِنْ حَذَرِ
وَقُلْتُمْ سَتْنَايَ بَعْدَ حِينِ

وَيَتَمُّ كَمَا لَأَذَتْ يِرْمَلِ نِعَامَةً
مِنَ الْخَوْفِ حَتَّى لَا تَرَى مَا

وَرُحْتُمْ ضَحَايَا وَاحِدًا بَعْدَ
كَمِثْلِ شَيْءٍ غَابَ عَنْهَا رَقِيبُهَا

وَأَصْبَحْتُمْ نَهَبَ الدُّنَابِ
وَفِي لَحْمِكُمْ تَزْدَادُ غَوْصًا

وَلَمْ تَجِدُوا إِلَّا النَّحِيبَ كَنَسْوَةٍ

تَخَالُ إِزَاءَ الرَّزْءِ يُجْدِي
وَقُلْتُمْ هِيَ الْأَقْدَارُ، لَا حَوْلَ
لِرَدِّ الَّذِي تَقْضِيهِ فِينَا غُيُوبُهَا

فَرَرْتُمْ إِلَى الْأَحْلَامِ
بِمَشْرِقِ شَمْسٍ دَامَ دَهْرًا

وَمَطَّلَعِ يَوْمٍ يَنْجَلِي فِيهِ
مَتَى أُمَّةٌ نَامَتْ تَجَلَّتْ

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي مَا دَهَاكُمْ
سَفِيَّتْكُمْ فِي الْيَمِّ زَادَتْ

بِلَادِكُمْ تَقْضِي أَمَامَ عُيُونِكُمْ
فَرِيْسَةَ دَاءٍ مِنْهُ أَنْتُمْ طَيِّبُهَا

تَعِيَتْ فَسَادًا فِي حِمَاهَا

مَرِيضٌ مُعَافَاها، عَيْبٌ
تَعَدَّتْ فَمَا رَدَّتْ، تَمَادَتْ
حُدُودَ احْتِمَالِ الصَّائِرِينَ

فَقُومُوا قِفُوا لِلظُّلْمِ وَقِفَةَ
أَبَى عَيْشَةَ صَارَ الْهَوَانُ

أَتَرْضُونَ عَيْشَ الدُّلِّ خَوْفًا؟
حَمَى الرُّوحَ مِنْ سَيْفِ الْمَنَابِيا

لَكُمْ فِي شَهِيدِ الْحَقِّ أَحْمَدٌ⁽²⁾
إِذِ الْأَرْضُ نَادَتْ، قَالَ إِنِّي

وَلِلَّهِ فِتْيَانٌ تَتَادَوُا وَرَاءَهُ
وَبَاعُوا حَيَاةً دِيسَ بِالذُّلِّ

⁽²⁾ هو الشهيد أحمد حواس، قائد الجناح العسكري
للجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا، وكان استشهد على تراب
ليبيا في الخامس من مايو 1984.

يَحَارُّ الرَّدَى اسْتَعْصَتْ عَلَيَّ
وَكَانَ لِي إِيمَانٌ سَهْلًا

بَارَكَ اللهُ جَمْعَكُمْ يَا رِجَالُ

فبراير 1985

بَارَكَ اللهُ جَمْعَكُمْ⁽³⁾ يَا رِجَالُ
وَقَضَى أَنْ يُجَابَ فِيهِ

جَمَعُ قَوْمٍ إِلَى الْجِهَادِ تَادُوا
وَعَلَى الْقَوْلِ تَتَّ الْأَفْعَالُ

قَدْ عَزَمْتُمْ عَزِيمَةَ الْمُؤْمِنِ
الَّذِي لَا تَهْدُهُ الْأَهْوَالُ

وَأَعْتَصَمْتُمْ يَحْبَلَ مَنْ لَيْسَ
بِعَطَايَاهُ تَعْقِدُ الْأَمَالَ

⁽³⁾ قصيدة قيلت بمناسبة انعقاد الدورة الثانية للمجلس
الوطني للجيبة، التي عقدت في بغداد عام 1985.

مَنْ لَهُ الْأَمْرُ فِي الْحَيَاةِ وَفِي
وَفِي الْمُنْتَهَى إِلَيْهِ الْمَالُ

قَدْ بَدَأْتُمْ بِعَوْنِهِ فَسَعَيْتُمْ
وَعَلَيْهِ مَتَى يَشَاءُ الْكَمَالُ

يَا بَنِي لَيْبِيَا التَّغَيْتُمْ عَلَيَّ
يَا لَّا يَسُودُهَا الْأَنْدَالُ

قَدْ شَغَفْتُمْ بِحُبِّهَا فَأَيْتُمْ
أَنْ تُغَطِّيَ زُهْرَهَا الْأَوْحَالُ

فَارْتَحَلْتُمْ ، وَمَا رَحَلْتُمْ بِقَلْبِي
فَالْهُوَى فِي رُبُوعِهَا لَا يَزَالُ

حِينَ أَضْحَى الدُّيُولُ فِيهَا
وَوَلَاةَ الْأُمُورِ فِيهَا الْعِيَالُ

وَعَدَا أَمْرَهَا جُنُونًا وَقَوْضَى
فِيهِ تَقْضَى بِرَأْيِهَا الْجُهَالُ

وَاسْتَحَالَتْ وَلَيْسَ يَسْلَمُ فِيهَا
مِنْ أَذَى الْمُجْرِمِينَ عَرَضُ

وَعَلَى رَأْسِهَا تَرَبَعُ غُرٌّ
وَتَوَلَّى مَصِيرَهَا دَجَالُ

يَا بَنِي لَيْبِيَا وَمَا فَارَقْتُمْ
حِينَ حَالَتْ مِنْ دُونِهَا أَحْوَالُ

ظَلَّ، رَغْمَ الْيَعَادِ، يَنْبِضُ حَيًّا
حُبَّهَا فِي الشَّغَافِ لَيْسَ يُنَالُ

إِنْ يَكُ الضَّمِيمُ كَانَ يَبْعِدُ عَنْهَا
فَأَلَيْهَا كَمْ صَارَ يَدْنِي النَّضَالُ

شَفَعَكُمْ نَحْوَهَا الْحَيْنُ فَتَقْتُمُ
لِوَصَالٍ ، فَكَانَ ذَاكَ الْوَصَالُ

فَجَرَّ يَوْمٍ أَغْرَّ مِنْ شَهْرٍ مَا يُؤُ
ضُرِبَتْ فِيهِ لِلْفِدَا أَمْثَالُ

إِذْ أَتَى الْعَاشِقُونَ أَرْوَاحَهُمْ
وَوَدَّوْا رِضَا الْحَيِّبِ فَنَالُوا

وَرَأَى الْخَلْقُ كَيْفَ يَنْتَزِعُ
شَبَابَ إِيمَانِهِمْ قَتَالَ

حِينَمَا جَرَدُوا مِنَ الْحَبِّ سَيْفًا
عَلَّمَ الصَّائِلِينَ كَيْفَ يُصَالُ

هَجَمُوا هَجْمَةً عَلَى الْجُرْدِ
فِي وَكْرِهِ الْحَصِينِ، وَجَالُوا

جَوْلَةٌ فَاقَ كُلَّ وَصْفٍ مَدَاهَا
وَنَبَاهَا قَدْ حَارَ فِيهِ الْخَيَالُ

وَاجَهَ الْمَوْتَ فِتْيَةً يَقْلُوبُ
شَدَّهَا بِالْجِنَانِ عَنْهُ انْشِغَالُ

فَمَضَى مَنْ قَضَى شَهِيدًا
وَأَبَقَتْ مَنْ أَبَقَتْ الْأَجَالُ

لَيْتَ شِعْرِي كَأَنَّمَا لِيَمِيزُوا
يَغْمُ الْحَقُّ زَيْفًا مَا قَدْ يُقَالُ

تَبَّ مَنْ قَالَ قَدْ أَضَلُّوا فَضَلُّوا
سِمَةَ الْخَائِعِينَ كَانَ الضَّلَالُ

بَلْ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ، مَالُوا إِلَى
وَضَلَّ الَّذِينَ لِلشَّرِّ مَالُوا

فَلْيَقُلْ مَنْ يَشَاءُ مَا شَاءَ هَذَا
سَالِمٌ شَاهِدٌ وَهَذَا كَمَالٌ⁽⁴⁾

وَتَرَى لِيَبْيَا الَّذِي ضَمَخْتَهُ
يَدِمَاهَا الزَّكِيَّةِ الْأَبْطَالُ

وَلْيَقُلْ مَنْ يَشَاءُ مَا شَاءَ، إِنَّ
الْفِعْلَ يَبْقَى ، وَتَذْهَبُ

قَدْ أَخَذْنَا يَوْمَ الْعَزِيزَةِ الْعَهْدَ

^{(?)4} هما سالم الحاسي وكمال الشامي، اثنان من شباب الجبهة، تسللا إلى ليبيا في إطار العملية العسكرية التي كانت تعد لها الجبهة لإسقاط النظام، وبعد المعركة التي حدثت في باب العزيزية تمكنا من الاختباء فترة من الوقت، ثم تمكنا من التسلل إلى خارج ليبيا عن طريق الحدود التونسية. وهما الآن يقيمان بالولايات المتحدة الأمريكية.

يَأْنُ النَّكُوصِ مِنَّا مُحَالٌ

ضَرْبَةُ تِلْكَ لَمْ تَكُنْ غَيْرَ أَوْلَى
وَسَتَّبَقَى ضَرْبَاتُنَا تَنْهَالٌ

فَوْقَ رَأْسِ اللَّعِينِ حَتَّى
وَعَلَى الظَّالِمِينَ حَتَّى يَدُأُوا

وَبَرَى الْخَيْرُ مُزْهِرًا فِي رَبَانَا
وَمِنَ الْجِذْرِ كُلِّ شَرٍّ يَزَالُ

إلى مايو

يونيو 1985

أَيَا مَآيُو لَكَ انْحَنَّتِ الشُّهُورُ
وَهَامَتْ فِي مَعَانِيكَ الصُّدُورُ

سَمَوَاتٍ، فَمَا يَرُومُ ذُرَاكَ
وَلَا كَلِمٌ تَدْبِجُهُ السُّطُورُ

فَأَنْتَ يَا رِضْ مِحْتِنَا سَمَاءُ
وَأَنْتَ لِطُولِ غَيْبَتِنَا الظُّهُورُ

فَفِيكَ انْجَابَتِ الظُّلْمَاءُ عَنَّا
وَزَحَزَحَ لَيْلِنَا فَجْرٌ مَنِيرُ

كَأَنَّكَ لِلَّذِينَ غَفَا صَبَاحُ
وَلِلْمَوْتَى مِنَ الْقَبْرِ النُّشُورُ

وَكَانَ عَذَابُنَا صَمْتًا ضَعِيفًا
نَفَخْتُ بِهِ فَصَارَ لَهُ هَدِيرٌ

وَكَانَ الظُّلْمُ عَمَلًا مُخِيفًا
تَخَرَّ لَهُ الرِّقَابُ مَتَى يَشِيرُ

أَشْرَتْ لَهُ يَسِيفِ الْحَقِّ حَتَّى
غَدَا فِي عَيْنِنَا وَهُوَ الصَّغِيرُ

وَقَامَتْ فِتْيَةٌ سَمِعَتْ قَلْبَتْ
نِدَاءَ الْأَرْضِ حِينَ دَعَا النَّفِيرُ

يَحْبِلُ النَّاصِرِ اعْتَصَمَتْ
فَهَانَ أَمَامَ هِمَّتِهَا الْعَسِيرُ

وَجَاءَتْ تَطَلُّبُ الْبَاغِي جَهَارًا

كَمَا يَرُدُّ الرَّدَى قَلْبَ جَسُورٍ
وَلَيْسَ يَخِيفُهَا حِصْنُ حَصِينٍ
يَلُودُ بِهِ الْجَبَانُ وَبَسْتَجِيرُ

وَلَا عَدَدٌ يَعِدُّهَا ، وَجَنْدٌ
يَجْنِدُهَا ، وَحِرَاسٌ وَسُورٌ

وَكَانَ سِلَاحُهَا إِذْ جَرَدَتْهُ
لَهُ فِي الْفَجْرِ إِيمَانٌ كَبِيرٌ

وَأَرْوَاحٌ صَفَتْ فَتَفَتْ جُسُومًا
يَشُدُّ إِسَارَهَا عَيْشٌ حَقِيرٌ

أَتَاهَا اللَّهُ مَا سَأَلَتْهُ لَمَّا
مَضَى أَجَلُهَا ، وَسَالَ دَمٌ طَهُورٌ

فَكَبَّرَتْ الْمَلَائِكُ حِينَ فَاضَتْ

وَطَارَ إِلَى السَّمَاءِ بِهَا الْبَشِيرُ
أَيَا يَوْمًا يَمَأُوْكَانَ قَرْدًا
بِهِ التَّارِيخُ مُخْتَالٌ فَخُورٌ

صَنَعْنَاهُ يَا إِيْمَانُ وَإِنَّا
لِنُقْسِمُ أَنْ يَكُونَ لَهُ نَظِيرٌ

يَوْمٍ قَادِمٍ لَا رَبَّ فِيهِ
عَلَى الْبَاغِي دَوَائِرُهُ تَدُورُ

فَيَعْرِفُ حِينَ تَفْجُوهُ رِجَالٌ
كَمِثْلِ الْأَسَدِ كَيْفَ هُوَ الزَّيْبُورُ

يَأْيِدِي الزَّاحِفِينَ يَصِيرُ نَهْبًا
وَيُنْسَ لِمَنْ طَغَى وَبَغَى

حَتَّامَ يَا وَطَنِي

أكتوبر 1985

حَتَّامَ يَا وَطَنِي يُزْرِي بِكَ
وَتَدْلُهُمْ عَلَى آفَاقِكَ الظُّلْمُ

وَتَسْتَيْحُ ثَرَاكَ الْحُرَّ شِرْذِمَةً
مِنَ اللَّئَامِ، يَسِيلُكَ الْمُنْكَرَ

زَاغَتْ وَرَاءَ قُشُورِ الْعَيْشِ
وَعَنْ طَرِيقِ الْهُدَى زَلَّتْ بِهِمْ

وَوَسَّوَسَ الشَّرُّ فِي آذَانِهِمْ
بِهَا عَنِ الْخَيْرِ إِذْ تُدْعَى لَهُ

بَاعُوكَ لِلظَّالِمِ الْبَاغِي فَكَانَ
مِنْهُمْ مُطِيعُونَ أَنَّى شَاءَهُمْ

لَهُ أَذَلُّوا كَفَعَلَ الْعَبْدِ أَنْفُسَهُمْ
وَوَطَّوعَ كَفِيهِ صَارُوا مِثْلَمَا

لَهُ إِذَا شَاءَ أَمْرًا كُلَّ هِمَّتِهِمْ
وَقَوْلِهِمْ حِينَ يَنْوِي نِيَّةً نَعَمْ

هُوَ الْمُرِيدُ ، وَهُمْ كَالْبِهِمْ فِي
إِنْ شَاءَ رَبًّا رَوُّوا أَوْ مَطْعَمًا

فَإِنْ أَرَادَ لَهُمْ أَنْ يَنْطِقُوا
وَإِنْ أَرَادَ لَهُمْ أَنْ يَكْتُمُوا

وَإِنْ أَرَادَ لَهُمْ أَنْ يَعْبَثُوا عِبْثُوا
وَإِنْ أَرَادَ لَهُمْ أَنْ يَظْلِمُوا

تَبَّ لَهُمْ .. كَمْ يَأْمُرُ الظَّالِمِ

وَقَارَفُوا مِنْ صُنُوفِ الشَّرِّ مَا
كَمْ دَجَلُوا، كَمْ لَزِبُوا بِاطِلِ
وَكَمْ تَعَالَتْ لَهُمْ كَفٌّ، وَبِح

كَمْ أَوْقَعُوا مِنْ بَرِيءٍ فِي
وَكَمْ يَمْظَلِمَةٌ زُورًا قَدْ اتَّهَمُوا

وَكَمْ تَوَلَّوْا يَسُوطِ الظُّلْمِ
وَكَمْ يَلِيلِ الْأَسَى عُمَرًا قَدْ

وَكَمْ أَسَأَلُوا لَأُمَّ دَمْعَةً وَأَبِ
وَكَمْ حَيْبًا مِنَ الْأَحْبَابِ قَدْ

وَكَمْ رَأَوْا بَاكِيًا حُزْنَا فَمَا
وَكَمْ تَأَلَّمَ مَكْرُوبٌ فَمَا أَلْمُوا

وَكَمْ يَضَعُفٍ ضَعِيفٍ عَاجِزِ

وَاسْتَرْجِمُوا يَأْسَى الشَّاكِينَ
وَكَمْ لِكَى يَنْتَهُوا نُودُوا فَمَا
وَلَا عَلَى مَا جَنُوا مِنْ مُنْكَرٍ

أَهْمُ بَنُوكَ؟ أَلَا حَاشَا بَيْنِكَ أَيَا
مَرْبَى الرَّجَالِ ، فَلَا أَرْضَى

بَنُوكَ أَنْتَ لَهُمْ أُمَّ وَأَنْتَ لَهُمْ
أَبٌ ، وَأَنْتَ لَهُمْ مَهْمَا نَأُوا

وَأَنْتَ ، بَعْدَ الْإِلَهِ الْحَقِّ ،
وَهُمْ لَكَ الْجَنْدُ وَالْأَوْلَادُ

لَا..لَا.. وَحَبِّكَ مَا هَانُوكَ يَا
بَنُوكَ هُمْ أَنْتَ مَا كَانُوا وَأَنْتَ

تَسْرِي بِأَعْرَاقِهِمْ رُوحًا ، فَإِنْ

كَانُوا، وَإِنْ فَارَقَتْهُمْ دُونَهَا
لَهُمْ يَذْكُرَكَ أَنَّى حَدَّثُوا
وَمِنْ رُؤَاكَ لَهُمْ فِي نَوْمِهِمْ

فَلَا وَحَقَّكَ لَا يَهِنَا لِأَصْغَرِهِمْ
عَيْشٌ وَدَمَعُكَ فَوْقَ الْخَدِّ

وَفِيكَ تَسْرَحُ كَفُّ الظُّلْمِ
وَفَوْقَ صَدْرِكَ أَذْنَابُ الْخَنَا

وَلَا يَبِينُ وَالثَّارَاتُ فَاغِرَةٌ
فَاهَا يَا عُمَاقِهِمْ وَالنَّارُ

هَلْ أَبْطَأُوا عَنْكَ؟ عَفْوَ الْحُبِّ
فَالْحَرْبُ حَرْبٌ، وَإِنَّ الْقُوَّةَ

كَانُوا فُرَادَى، وَمَا قَرَدَ بِمُقْتَدِرٍ

شَيْبًا إِذَا مَا الْعِدَى مِنْ حَوْلِهِ
لَكِنَّهُمْ الْيَوْمَ صَارُوا جَبَهَةً
رَايَ الْجِهَادِ، وَلِلْإِنْقَازِ قَدْ

جَاءُوا وَقَدْ جَهَّزُوا لِلْحَرْبِ
وَكَانَ لِلنَّصْرِ أَوْ لِلْمَوْتِ

فِي يَوْمِ مَا يُؤَاتَتْ بَشْرِي
وَعَانَقُوكَ بِشَوْقٍ، هَلْ

وَهَلْ تَحَسَّسْتَ فِيهِمْ رِيحَ
لَمَّا حَوَالَيْكَ يَوْمَ الْمُلتَقَى

وَفَوْقَ صَدْرِكَ نَامُوا مِلاءَ
وَالْقَلْبُ مُغْتَبِطٌ، وَالثَّغْرُ

أَفَارِقُوا الرُّوحَ؟ هُمْ مَنْ شَاءَ

لَمَّا حَيَاةَ الْخَنَا وَالذُّلَّ قَدْ
وَمَهَّدُوا بِدِمَاهِمِمْ دَرْبَ كُلِّ
الْيَوْمِ يَا وَطَنِي قَدْ جَاءَ يَنْتَقِمُ

فَبَشِّرِ الظَّالِمَ الْجَانِي
سُودَاءَ تَبِيضُ مِنْ أَهْوَالِهَا

تَأْتِيهِ فِيهَا رَجَالٌ عَاهَدُوا
تَهْوِي بِهِمْ نَحْوَهُ الْوُدْيَانُ

الْبُرِّ يَنْتَقِمُ ، وَالْبَحْرِ يَقْذِفُهُمْ
وَالسَّهْلِ يَرْمِي بِهِمْ ، وَالْبَيْدِ

شُمِّ عَمَالِيْقُ بِالْإِيْمَانِ قَدْ
يَا وَيْحَهُ كَيْفَ يَنْجُو مِنْهُمْ

وَأَيْنَ يَهْرَبُ مَنْ كَانُوا لَهُ تَبَعًا

نَحْوَ الْهَلَاكِ، وَعَنْ يَوْمٍ

يا شهر أبريل

مارس 1986

يا شهرَ أبريلَ أنبتَ الآسى
ويتَّ في كلِّ عامٍ منه

كأساً من القهرِ والأحزانِ ما
ذُكرَاكَ تملؤها ملاً وتُعطينا

ونحنُ نجرعُ ، ما أجدى
منها ، ولا ردها عنا تمنينا

^{(?)5} أصبح شهر أبريل رمزاً لممارسات القمع والقهر، إذ اتخذ منه القذافي وزبائنه في اللجان الثورية مناسبة سنوية لإعدام الأبطال من رجال ليبيا الذين رفضوا الخضوع له ولحكمه

فِيَا لَهَا جَمْرَةً لَا تَنْطَفِي ،
تَوْهَجٌ فِي الْحَشَا مَا انْفَكَ
كَخِنْجَرَاتٍ فِي الْأَعْمَاقِ
وَكَلَّمَا هَزَّهُ التَّذْكَارُ يَدْمِينَا

مَرَّ الْحَوَادِثِ يَنْسِي كُلَّ
لَكِنَّ مَرَّ اللَّيَالِي لَا يَنْسِينَا

وَكَيْفَ تَنْسَى؟ وَطَعْمُ الْمَوْتِ
وَهَوْلُ مَرَاهُ حَيٌّ فِي مَاقِينَا

أَنْتِ أَشْحَنَا يَوْجَهُ عَنْهُ يَجْبُهْنَا
وَحَيْثَمَا اتَّجَهْتَ عَيْنٌ يَلَاقِينَا

نُرُومُ عَنْهُ افْتِرَاقًا لَا يُفَارِقُنَا
وَنَبْتَغِي أَنْ نُجَافِي لَا يُجَافِينَا

أَضْحَى رَفِيقًا لَنَا ، فِي
وَفِي الْمَنَامِ إِذَا نَغَفُو يُوَافِينَا
كَأَنَّهَا الْيَوْمَ فِي عَيْنِي مَشْنَقَةٌ
جَاؤُوا بِهَا نَصَبُوهَا فِي

وَنَحْنُ نَرْقُبُ ، مَا اهْتَزَّتْ
وَلَمْ يَحْرِكْ جُنُونَ الرِّفْضِ

يَا وَيْحَنَا ، كَيْفَ خَاتِنَا
وَكَيْفَ لِلذُّلِّ طَاطَانَا نَوَاصِينَا

كَيْفَ احْتَمَلْنَا وُلُوعَ الْعَارِ فِي
لَمَّا إِلَى الْمَوْتِ أَسْلَمْنَا

كَأَنَّهَا ، حِينَ ضَاقَ الْحَبْلُ ، مَا
فِي عُمُقِ أَعْمَاقِنَا إِلَّا تَحْدِينَا

كَأَنَّمَا لَمْ يَرِدِ الْقَوْمَ، إِذْ قُتِلُوا
أَمَامَ أَعْيُنِنَا، إِلَّا تَرَدُّنَا
تَسْعَ مَرْرَنَ ، وَمَا زَالَتْ
مَرَارَةٌ فِيكَ يَا أَبْرِيْلُ تَبْكِينَا

لَوْلَا تَذَكُّرُ أَيَّامِنَا لَنَا سَلَفَتْ
فِي شَهْرِ مَآيُو غَدَتْ عَنْهَا

مَنْ مَاتَ بِالشَّنِقِ، أَوْ أَوْدَى
بَاقِ صَدَى ثَارِهِ الظَّامِي

وَإِنَّ زِكْرَكَ، لَوْ تَدْرِي ، تُقْرِبُنَا
قُرْبًا إِلَيْهِ ، وَلَيْسَتْ عَنْهُ

فَلْتَبِقَ حَيَاتِنَا ، كَالدَّاءِ تُؤَلِّمُنَا
لَا نَبْتَغِي عَنْكَ يَوْمًا مَا يُلْهِمُنَا

حَتَّىٰ يَكُونَ لَنَا مِنْ حَرِّ
وَمِنْ دِمَانَا دَوَاءٌ مِنْكَ يَشْفِينَا
إِنْ كُنْتَ بِالْمَوْتِ يَا أَيُّرِيلُ
فَالْمَوْتُ فِي شَهْرِ مَایُو كَانَ

وَالْمَوْتُ فِي شَهْرِ مَایُو كَانَ
وَكَانَ مِمَّا لَقِينَا فِيكَ آسِينَا

نَحْنُ الَّذِينَ أَتَيْنَاهُ تَنَاجِزُهُ
مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ فِي مَاضِيهِ

الْمَوْتُ! مَا عَادَ ذِكْرُ الْمَوْتِ
بَلْ صَارَ يُلْهِنُنَا شَوْقًا وَيُغْرِبُنَا

يَأْنِ نَذُوقَ كُؤُوسًا مِنْ
كَمْ مِنْ مَرَارَتِهِ ذُقْنَا أَحَابِينَا

قَدْ كَانَ يَوْمًا لَنَا دَاءٌ يُورِقُنَا
فَالْيَوْمَ نَبْحَثُ عَنْهُ كَيْ يَدَاوِينَا
مِنْ كُلِّ حُرْقَةٍ قَهْرٌ لَا تُفَارِقُنَا
وَكُلُّ طَيْفٍ أَسَى مَا زَالَ

وَكُلُّ وَخْزَةٍ ظَلَمٍ خَلَفَتْ
فِي النَّفْسِ يَعْصِرُنَا عَصْرًا

فِيَا لِنَارَاتٍ مَنْ غِيلُوا وَمَنْ
وَمَنْ أذَلُّوا، وَمَنْ بَاتُوا

وَيَا لِدَمْعَةٍ أُمَّ بَابِنِهَا فُجِعَتْ
وَيَا لِآهَاتٍ مَكْرُوبِينَ تَشْقِينَا

ظَلَّتْ تَمُورُنَا نَارًا ، فَوَالْهَيْ
مَتَى نَفْجُرُهَا فِيهِمْ بَرَاكِينَا

تُزَلْزَلُ الْأَرْضَ بِالْبَاغِينَ زَلْزَلَةً
وَفِي جَهَنَّمَ تَرْمِيهِمْ مَلَاعِينًا

وَفِي إِهَابِ الْأَبَاةِ الشُّمُّ
وَبَعْدَ مَوْتِ الْخَنَا ، بِالْعِزِّ

شبح السقوط

سبتمبر 1986

لَا الْخَوْفُ يُنَجِّيكَ مِنَّا، لَا، وَلَا
إِنَّا حَوَالَيْكَ، يَا رَعْدِيدُ، نَتَشِيرُ

كَالشَّمْسِ، إِذْ تَخْسِفُ الظُّلْمَاءَ
وَكَالْأَعَاصِيرِ، لَا تَبْقَى، وَلَا

يُنَّا لَكَ الْقَدَرَ الْمَحْتُومَ كُنْ
مِنَّا كَمَا تَشْتَهِي، هَلْ يُحْذَرُ

إِنَّا مَدَامِعُ كُلِّ الْبَاكِيَاتِ أَسَى
صَارَتْ سَحَابَ يَالْتَصْمِيمِ

وَنَحْنُ كُلُّ ضَعِيفٍ أَنْ مِنْ
وَكُلُّ سَاهِرٍ لَيْلٍ، هَذِهِ السَّهَرُ

وَكُلُّ صَاحِبِ قَيْدٍ، بَاتَ مُنْتَظِرًا
يَوْمًا يُفِيقُ، وَإِذْ بِالْقَيْدِ مُنْكَسِرٌ

وَكُلُّ وَالِدَةٍ أَمْسَتْ لَهَا كَيْدٌ
عَبْرَ الْمَهَاجِرِ فِي الْأَبْعَادِ تَنْشُرُ

وَكُلُّ مُلْتَحِفٍ صَبْرًا، يَنْوَأُ بِهِ
حَتَّى تَمَادَى، وَأَعْيَا كَيْفَ

إِنَّا تَبَارَيْحُ مِنْ ذَابَتْ لَهُمْ مَهْجٌ
وَمَنْ عَلَى شَرْبِ كَأْسِ الدُّلِّ

وَنَحْنُ مِنْ بَيْدِ الْأَنْذَالِ قَدْ
وَمَنْ أَهَيْنُوا، وَمَنْ دَيْسُوا،

أَكُنْتَ تَحْسَبُ أَنَا لَنْ يَفِيضَ بِنَا
كَيْلٌ، وَأَنْكَ مَا تَلْوِي سَنَنْعَصِرُ

وَأَنَّ نَارَكَ تَبْقَى حَيَّةً أَبَدًا
وَنَارُنَا مِنْ رَمَادٍ لَيْسَ يَسْتَعِيرُ

الْيَوْمَ أَوْهَامُكَ الْكُبْرَى قَدِ
وَتَانَ عَيْنَاكَ زَالَتْ عَنْهُمَا السُّتْرُ

فَأَنْظُرْ حَوَالِيكَ أَبْصِرْ كُلَّ مَا
كَفَّاكَ فِي أَمْسِنَا مَا أَصْبَحَ

قَدْ بَتَّ بِالْخِزْيِ حَتَّى الظُّفْرِ
وَنَحْنُ بِالْعِزَّةِ الْقَعَسَاءِ نَعْتَمِرُ

هَا أَنْتَ تَلْبَسُ ثَوْبَ الْخَوْفِ
مِنْ بَعْدِ مَا صَارَ عَنَّا الْخَوْفُ

وَأَنْتَ تَذْبُلُ فِي الْأَوْحَالِ
وَنَحْنُ مِلءَ رَبْوَعِ الْعِزِّ نَزْدَهْرُ

وَيْتٌ تَلَهَتْ خَوْفَ الْمَوْتِ
حَتَّى اسْتَحَتْ خَجَلًا مِنْ

تَيْبَتُ لَيْلِكَ فَوْقَ الْجَمْرِ مُرْتَبِيًّا
مَتَى تُوَافِيكَ عَنِ إِعْصَارِنَا

تَرَى نِهَائِكَ السُّودَاءَ آتِيَةً
لَكِنْ تَحَارُّ مَتَى أَوْ كَيْفَ تَنْدَثِرُ

تُرَاكَ فِي سَاحَةِ الْإِعْدَامِ
رِصَاصَةَ الْمَوْتِ نَحْوَ الْقَلْبِ

أَمْ تُبْصِرُ الْحَبْلَ فِي الْأَعْوَادِ
وَلَسْتَ تَدْرِي مَتَى مِنْهُ

ذُقْ بَعْضَ مَا كُنْتَ تَسْقِي مَنْ
كَيْمَا تَرَى كَيْفَ طَعَمَ الْمَوْتِ

فَهَلْ تَخَيَّلْتَ طَعْمَ الْمَوْتِ؟
يُحِسُّ مَنْ يَأْخُذُ بِالسَّائِلِ الْكَاسِ

وَكَيْفَ يَأْلَمُ تَحْتَ السَّوْطِ
وَمِنْ عَذَابَاتِهِ الْأَذْنَابُ قَدْ

وَكَيْفَ يَسْقُطُ مَصْرُوعٌ بِقَاتِلِهِ
وَكَيْفَ مَنخَنِقٌ بِالْحَبْلِ يَحْتَضِرُ

مَا كُنْتَ تَحْسِبُهَا الْأَيَّامَ دَائِرَةً
فَإِذْ يَكُلُّ الَّذِي شِيدَتْ لَا أَثَرَ

وَإِذْ يَصُولُكَ الْهَوَجَاءُ جَعَجَعَةً
وَكُلُّ مَجْدِكَ زَيْفٌ حِينَ يَخْتَبِرُ

وَإِذْ يَخْطُبُكَ الْعَصْمَاءُ لَجَلَجَةً
وَسَيْفُكَ الصَّائِلُ الْبَتَّارُ مِنْبِرٌ

كُلُّ الطَّوَاغِيتِ صَارُوا عِبْرَةً
عَبْرَ الزَّمَانِ لِمَنْ يُصْغَى

صَالُوا وَجَالُوا وَعَاثُوا، ثُمَّ مَا
أَنْ زُلْزَلْنَا عَنْ عُرُوشِ الْبَغِيِّ

وَذِي الشُّعُوبِ تُذَاقُ الْخَسْفَ
وَحِينَ تَعْزَمُ عَزْمَ النَّصْرِ،

ستعودين

نوفمبر 1986

ستعودين.. وتخُضَلُ الأمانِي..
تزهَرُ الفَرْحَةُ فِي القَلْبِ الَّذِي ظَلَّ يُعَانِي..
وَجَعَ البُعْدُ ، وآلامَ الحَيْنِ.

* * *

ستعودين..
إِذَا مَا انشَقَّ جَنحُ اللَّيْلِ..
وَأنداحَ سَنَا صَبْحِكَ يَخْتالُ عَلَى كُلِّ
الراوَابِي..
ستعودين..
وَفِي إِشراقِ عَيْنِكَ..
وَفِي نَضْرَةِ خَدَيْكَ..
وَفِي بَسْمَتِكَ الحُلْوَةِ ..
تَنسَابُ نَضاراتُ الشَّبَابِ

* * *

ستعودين..

وَتَنْسِينَ وَأَنْسَى..
حِينَما تَنْطَفِئُ اللَّهْفَةُ فِي كَأْسِ اللَّقَاءِ..
يَجِدُ الْمَقْرُورُ طَعْمَ الدَّفْعِ..
يَلْقَى الظَّامِئُ الْمَلْهُوفُ بَرْدَ الْإِرْتِوَاءِ.
حِينَما تَتَّقِلِبُ الْوَحْشَةَ أَنْسَا.
حِينَما يَنْزَاحُ فِي ذَاكِرَةِ الذِّكْرِ..
أَسَى الْوَجْدِ وَبَغْدُو..
يَوْمَنَا الْمَوْجِعُ أَمْسَا.
حِينَ يَرْتَاحُ الَّذِي هَدَتْهُ أَبْعَادُ الْمَسَافَاتِ..
وَأَدْمَى قَدَمِيهِ الْإِنْتِظَارِ..
نَظَرَ الشَّرْطِيَّ فِي عَيْنِيهِ..
وَخَزَّ الشُّكَّ..
تَقْلِبُ جَوَازَ السَّفَرِ اللَّاهِثِ فِي كُلِّ مَطَارٍ..

* * *

سَوْفَ تَنْسِينَ وَأَنْسَى..

حِينَ تَتَهَارُ الْمَسَافَاتُ..
يَذِيبُ الزَّمَنَ الصَّلْدَ لَهَيْبِ الْإِتِّصَارِ..
حِينَ تَطْوِي رِحْلَةَ الْعَوْدَةِ..
كُلَّ الْأَرْضِ..
كُلَّ الدَّهْرِ..
فِي ثَانِيَةٍ..
ذَاتَ نَهَارٍ.

* * *

سَوْفَ تَنْسَى..
أَنَا شَاعَتْ لَنَا الْأَقْدَارُ..
تَفْرِيقًا وَبَعْدًا..
فَافْتَرَقْنَا..
وَكَانَ الْبُعْدَ وَالْفُرْقَةَ وَالتَّشْرِيدَ وَالتَّهْدِيدَ
وَالْأَلَامَ..
مَا كَانَ سِوَى حَلْمٍ..

تَجَرَّعْنَاهُ فِي لَيْلِ الْأَسَى..
ثُمَّ أَفْقَنَّا..

هي الحرب

نوفمبر 1987

أَلَا قَدْ أَبَانَ الْحَقُّ وَأَنْبَلَجَ الْأَمْرُ
وَأَنَّ أَوَانَ اللَّوْمِ ، وَأَنْقَطَعَ

لِكُلِّ أَمْرٍ فِي قَلْبِهِ نَبْضٌ
وَعَنْ هَاتِفِ الدَّاعِينَ لَيْسَ بِهِ

وَبَانَ لِذِي عَيْنٍ تَرَى أَيْنَ
سَيْلَانِ: ذِي خَيْرٍ وَأُخْرَى هِيَ

تَمَايَزَتِ الْأَشْيَاءُ: حَقٌّ وَبَاطِلٌ
وَمُظْلِمَةٌ دَهْمَاءُ مِيَزَ بِهَا الْفَجْرُ

وَزَالَتْ عَنِ الْمَأْسَاةِ كُلِّ
فَبَانَتْ كَمَا هِيَ لَيْسَ مِنْ

وَهَزَّتْ نَوَاقِيسُ الرَّدَى كُلِّ
وَإِنَّ لِمَنْ رَامُوا الْجَهَالََةَ أَنْ

فَمَا عَادَ يُجِدِي مِنْ نَبِيهِ تَغَافُلُ
وَمَا عَادَ مِنْ ذِي الْمَكْرِ يُحْتَمَلُ

هُوَ الظُّلْمُ قَدْ رَبَى ذُنَابًا
وَفِينَا لَهَا نَابٌ يُصَاوِلُ أَوْ ظَفَرُ

يُفَاجِئُ مِمَّا كُلِّ حِينٍ قَرِيسَةً
وَنَصِيرٌ حَتَّى مَلَّ مِنْ صَبْرِنَا

قَدْ اشْبَعْنَا بَطْشًا وَقَهْرًا وَلَمْ
نُطَاطِبِ لَهُ حَتَّى اسْتَهَانَ بِهَا

فَمَنْ شَاءَ فَلْيَقْعُدْ حَيْسَ
كَشَاةٍ أَمَامَ الذُّبِّ يَعْقِلُهَا

تُرَاقِبُ كَفَّ الْمَوْتِ أَنِّي تَنَزَّلْتُ
وَتَرُقُبُ أَنْ يَأْتِيَ عَلَيَّ رَأْسُهَا

فَإِنَّا مَلَلْنَاهَا حَيَاةً بِذِلَّةٍ
وَأَوْلَى بِنَفْسِ الْحُرِّ مَوْتٌ بِهِ

رَفَعْنَا عَلَيَّ الطَّاغُوتِ شُمَّا
وَكَانَ لَنَا بِالْحَقِّ فِي وَجْهِهِ

وَخُضْنَا سَبِيلًا لِلْجِهَادِ مَرِيرَةً
فَإِمَّا يَكُونُ الْمَوْتُ، أَوْ يَحْسَمُ

قَدْ اشْتَعَلَتْ لِلْحَرْبِ نَارٌ وَلَمْ
بِهَا مَوْطِيءٌ إِلَّا لِمَنْ عَزَمَهُ

وَإِنَّا لَهَا فَلْيَنْجُ مَنْ لَا يُطِيقُهَا
وَمَنْ يَشْتَهِي أَلَّا يَحْرِقَهُ الْجَمْرُ

هِيَ الْحَرْبُ مَا فِيهَا مَكَانٌ
لَهَا اثْنَانِ: إِمَّا قَائِرٌ أَوْ لَهُ الْقَبْرُ

فَرِيقَانِ ذَا مِثَالٍ وَذَلِكَ عَدُوْنَا
وَلَيْسَ سِوَى لِسَيْفٍ مَا بَيْنَنَا

فَمَنْ شَاءَ فَلْيَسْنِدْ يَزْنِدِ زَنُودَنَا
وَإِلَّا فَعُضُومَاتِ أَوْلَى بِهِ الْبَتْرُ

ما لَعَمْرِي عَلَيْكَ أَنْتَ الْمَلَامُ..

أغسطس 1987

ما لَعَمْرِي عَلَيْكَ أَنْتَ الْمَلَامُ
هَلْ عَلَى خِيسَةٍ لَيْمٍ يَلَامُ؟

كُنْ جَبَانًا أَوْ غَادِرًا أَوْ كَذُوبًا
هَكَذَا دَائِمًا يَكُونُ اللَّئَامُ

أَوْ لَتَبْلُغْ حَدَّ السَّمَاءِ غُرُورًا
حِينَ تَهْذِي بِوَصْفِكَ الْأَزْلَامُ

وَلِيَمِلْ رَأْسَكَ الصَّغِيرَ خِيَالُ
أَوْ تُدَاعِبُ ضَمِيرَكَ الْأَحْلَامُ

فَتَرَى نَفْسَكَ الْكَبِيرَ وَيَغْدُو
مَنْ حَوَالَيْكَ كُلُّهُمْ أَقْزَامُ

أَنْتَ! مَا أَنْتَ غَيْرُ صِفْرِ حَقِيرٍ
جَعَلَتْ مِنْهُ نِدَّهَا الْأَرْقَامُ

وَكَلِيبٌ يَطْنُ ظَنًّا عَجِيبًا
حِينَ تَخْشَى نُبَاحَهُ الْأَغْنَامُ

وَخَسِيسٌ قَدْ كَانَ مِنْ سَخَرٍ
لَهُ بَيْنَنَا يَطِيبُ الْمَقَامُ

ثُمَّ تَغْدُو لَهُ الرَّئِيسَةُ فِينَا
وَإِلَى كَفِّهِ يَصِيرُ الزَّمَامُ

إِنَّمَا اللَّوْمُ يَا خَسِيسُ عَلَيَّ
لَمْ يَزَلْ فِيكَ تُوْهِمُ الْأَوْهَامُ

وَعَلَى مَنْ يِرَاكَ أَهْلًا لَأَنَّ
جَلِيسًا يُلْقَى إِلَيْهِ السَّلَامُ

لَيْتَ شِعْرِي، وَمِنْهُ يُقْبَلُ لَفْظُ
أَوْ إِلَىٰ مِثْلِهِ يُسَاعُ الْكَلَامُ

أَوْ مَا زَالَ بَعْدَ كُلِّ الَّذِي قَدْ
كَانَ مَنْ لَمْ تَعْلَمْ الْآيَامُ

أَوْ مَا زَالَ بَعْدَ مَا جِئْتَ فِيْنَا
يَا لَأَعَاجِيبِ ثُمَّ قَوْمِ نِيَامُ

بَعْدَ أَنْ بَاتَ كُلُّ سِرِّكَ جَهْرًا
وَمَخَازِيكَ زَالَ عَنْهَا اللَّثَامُ

وَتَكَشَّفَتْ عَنْ سَرِيرَةِ قُبْحِ
ضَجِّ مِنْهَا فِي الْعَالَمِينَ الْأَنَامُ

لَحِقَتْ نَارُهَا الْجَمِيعَ
مِنْ أَذَاهَا فِي كُلِّ صَوْبِ

أَيُّهَا الْوَعْدُ لَا تَمِيلَنَّ زَهْوًا
إِنْ دَعَا الْبَعْضُ نَحْوَكَ

أَوْ يَكُنْ أَدْرَكَ الْقَنُوطُ نَفُوسًا
وَمِنْ الْجَمَلِ كَلَّتِ الْأَجْسَامُ

أَوْ تَكُنْ طَالَتِ الطَّرِيقُ عَلَيَّ
وَمَلَّتْ مِنْ خَطْوِهَا الْأَقْدَامُ

نَحْنُ لَمَّا نَزَلْنَا عَلَى الْعَهْدِ
لَمْ تَضَعْضِعْ ثَبَاتَنَا إِلَّا لَامُ

نَحْنُ بَاقُونَ مِثْلَمَا الشَّمْسُ لَا
نُورًا وَإِنْ غَشَاهَا الْغَمَامُ

وَعَلَى الدَّرَبِ سَوْفَ تَمْضِي
لَا يَشُونَنَّ سِيرَهَا إِحْجَامُ

لَا وَرَاءَ يَشُدُّهَا ، بَلْ مُضِيٌّ
فِي سَبِيلٍ ، وَلَيْسَ إِلَّا أَمَامُ

وَلَهَا فِي الصَّعَابِ حِينٌ
ثَبَاتٌ وَعَزْمَةٌ وَافْتِحَامٌ

لَنْ تَرَانَا إِلَيْكَ تَمْتَدُّ بِالصَّفْحِ
أَكْفٌ وَلَنْ تَنْكَسَ هَامٌ

إِنْ يَكُنْ غَيْرِنَا حَمَائِمٌ تَغْضِي
لَكَ ضَعْفًا ، فَنَحْنُ نَحْنُ

لَكَ مِمَّا دُمْتَ حَيًّا وَدَمْنَا
سَاعِدٌ مُؤْمِنٌ ، وَسَيْفٌ حَسَامٌ

وَقُلُوبٌ لَا يَأْخُذُ الْيَأْسُ مِنْهَا
وَنَفُوسٌ آيَةٌ لَا تُضَامُ

البشرى

مارس 1988

أَلَا يَا بَنِي لَيْبِيَا زَفَفْتُمْ لَهَا
قَدُمْتُمْ لَهَا جُنْدًا ، وَدُمْتُمْ لَهَا

يَكُم رَفَعَتْ مِنْ بَعْدِ ذُلِّ جَيْبِنَهَا
وَطَاوَلَتِ الدُّنْيَا يَهَامَاتِكُمْ فَخَرَا

رَفَعْتُمْ لِيَوَاءَ لِلْجِهَادِ وَقُلْتُمْ
نَمُوتُ فِدَاهَا ، أَوْ نَزُفَّ لَهَا

عَلَى كُلِّ مَنْ دَاسُوا ثَرَاهَا
عَلَيْهَا كَلِيلٌ مَا اسْتَبَانَتْ لَهُ فَجُرَا

وَمَنْ دَنَسُوا بِالْخُبْثِ كُلِّ
وَوَغَالُوا شَبَابًا لَاحَ فِي وَجْهِهَا

تَفَشَّوْا بِهَا دَاءَ سَرَى فِي
وَأَوْغَلَ حَتَّى الْعَظْمِ يَنْخَرُهُ

فَعَادَتْ وَمَا فِيهَا عَزِيزٌ مُعَزَّرٌ
وَلَا الْحَرُّ يَحْيَا إِنْ أَرَادَ بِهَا حَرًّا

تَذِيقُ أَبِي النَّفْسِ ضَيْمًا لِئَامِهَا
وَتُودِي يَمَنَ يَعْصِي لِسَيْدِهِمْ

وَتَشِيعُ مِنْ يَدِي اسْتِيَاءَ مَذَلَّةً
وَتَسْقِي الَّذِي يَأْبَى الْخُضُوعَ

وَمَدَّ لَهَا فِي الْحَبْلِ حَتَّى
وَضَلَّتْ بِأَنَّ الْأَمْرَ صَارَ لَهَا حِكْرًا

وَضَلَّتْ غُرُورًا أَنَّهَا قَدْ تَمَكَّنَتْ
وَمَدَّتْ لَهَا فِي عُمُقِ تَرْبِتِنَا

وَأَنَا تَرَوُّضْنَا خُضُوعًا وَطَاعَةً
وَمَهْمَا أَذِقْنَا الْمُرَّ لَنْ نَنْتَهِيَ

فَقَدْ آَنَّ أَنْ يَدْرِي الطُّغَاةُ بِأَنَّا
يَهُونُ عَلَيْنَا أَنْ نَجُوعَ وَأَنْ

وَأَنْ يَلْهَبَ السَّوْطُ اللَّعِينُ
وَتَلْتَهُمَ الْقُضْبَانُ مِنْ عُمْرِنَا

وَنَذْهَبَ فِي الدُّنْيَا شَتَاتًا مُمَزَّقًا
يَضِيقُ بِنَا صَدْرًا، فَيَلْقِمُنَا صَدْرًا

وَتَنْثُرُنَا الْأَيَّامَ فِي كُلِّ مَهْجَرٍ
فَفِي مَشْرِقِ شَطْرًا، وَفِي

وَبِفَجْأِ مَوْتِ الْغَدْرِ مِنَّا أَعِزَّةً
فَلَا يَجِدُوا فِي أَرْضِ آبَائِهِمْ

وَلَسْنَا نَرَى لِلذُّلِّ نَحْيِي جِبَاهَنَا
وَلَوْ كَسَرُوا بِالظُّلْمِ أَعْنَاقَنَا

فَنَحْنُ بَنُو مَنْ لَعَنُوا كُلَّ مُعْتَدٍ
دُرُوسًا عَلَى التَّارِيخِ شَادَتْ لَنَا

كِرَامُ آبَاءٍ لَا تَلِينُ قَنَاتُنَا
وَإِذْ يَمْكُرُ الْبَاغُونَ نُوَسِّعُهُمْ

أَلَا قَدْ أَتَى وَقْتٌ يَرَى فِيهِ مَنْ

(?)⁶ إشارة إلى الشهداء الذين لحقتهم أيدي الغدر في
بقاع مختلفة من العالم، فووري كل منهم الثرى
حيث وافته المنية.

يَا نَا نَهَضْنَا الْيَوْمَ كَيْ نَطْلُبَ
لِمَنْ جُرْعُوا قَهْرًا ، وَمَنْ
وَمَنْ سَجِنُوا ظُلْمًا ، وَمَنْ قُتِلُوا

وَمَنْ أَطْعِمُوا لِلْحَرْبِ (7) حَتَّى إِذَا
عَنِ الْمَوْتِ وَالْخُسْرَانِ هُمْ

فَمَا سَلِمَ النَّاجُونَ مِنْهَا
وَمَا سَلِمَ الْقَتْلَى ، وَلَا سَلِمَ

أَيَحْسَبُ إِنْ أَرْخَى قَلِيلًا
وَأَبْدَلَ بَعْدَ الْعُسْرِ أَيَامَنَا يُسْرًا

(7) إشارة خاصة إلى حرب تشاد التي انتهت بخسارة فادحة للقوات الليبية، وأسفرت عن أسر عدد كبير من الضباط والجنود، فما كان من القذافي إلا أن تنكر لهم، وأنكر أن يكون له أصلاً أي قوات هناك، بل سخر من الضباط والجنود الذين وقعوا في الأسر، وأولئك الذين تمكنوا من النجاة بأنفسهم، ولم يترحم على الموتى منهم.

وَأَوْهَمَ قَوْمًا أَنَّهُ عَادَ نَادِمًا
وَقَدَّمَ عَمَّا كَانَ مِنْ جُرْمِهِ

يَأْنَا سَنَنْسَى مَا جَنَى فِي سِنِينِهِ
ثَمَانٍ مِنَ التَّنْكِيلِ قَدْ لَحِقَتْ

أَيَا بَعْدَ مَا يَصْبُو إِلَيْهِ، فَجَرَحْنَا
تَأَبَى عَلَيَّ كَفَّ التَّاسِيَّ وَلَنْ

يَغَيِّرُ اشْتِعَالَ السُّخْطِ فِي كُلِّ
وَعَيَّرَ اتِّفَاضَ الشَّعْبِ فِي وَثْبَةٍ

⁸(?) إشارة إلى الإجراءات التي اتخذها القذافي فيما عرف بـ "أصبح الصبح"، حيث أطلق سراح عدد من المعتقلين، وخففت القيود على حرية السفر بإعادة جوازات السفر التي كانت قد سحبت من أصحابها، وحذف أسماء بعضهم من قوائم الممنوعين من السفر.

تُطِيحُ بِرَأْسِ الشَّرِّ مِنْ عَرْشِ
وَكُلِّ يَدٍ لِلظُّلْمِ تَبْتَرُهَا بَتْرًا

هَنَا يَقِفُ التَّارِيخُ كَيْ يَنْحَنِي لَنَا
وَيَفْتَحَ لِلْعَهْدِ الَّذِي نَبْتَدِي سِفْرًا
هَنَا الْيَوْمَ تَرْتَجُّ الدُّنَى مِنْ
وَتَتَّخِذُ الْأَوْغَادُ مِنْ خَوْفِهَا وَكِرًا

هَنَا الْيَوْمَ يَزْهَوُ مَنْ شَدَا الْمَجْدُ
وَمَنْ سَلَكَوا مِنْ قَبْلِنَا الْمَنْهَجَ

وَقَدْ عَلِمُوا أَنَا حَفِظْنَا عُهُودَهُمْ
وَلَمْ نَدَعِ الْأَشْوَكَ تَمْنَعُنَا

وَأَنَا إِلَى الْمِيدَانِ تَمْضِي
وَأَرْوَاحُنَا لِلنَّصْرِ نَحْمِلُهَا مَهْرًا

الجرح
لَيْسَ يَغَيِّرُ النَّارَ يَنْدَمِلُ

يونيو 1988

مَهْلًا فَلَيْسَ بِنَا مَسٌّ وَلَا خَبْلٌ
حَتَّى تَجُوزَ عَلَيْنَا هَذِهِ الْحَيْلُ

إِنَّا عَرَفْنَاكَ مُذْ دَنَسْتَ سَاحَتَنَا
وَقَدْ تَلَبَّسَ فِيكَ الزَّيْفُ

أَبْدَلُ كَمَا شِئْتَ أَثْوَابًا وَأَفْنَعَةً
وَتُبُّ كَتُوبَةٍ عَاصٍ إِذْ دَنَا الْأَجَلُ

وَأَرْمِ الْخَطَايَا عَلَى مَنْ كُنْتَ

أَنْتَ الْمُسَاعَلُ عَنْ كُلِّ الَّذِي
هَذِي يَمِينِكَ فِي الْقُقَّازِ
عَلَى الْجَرِيمَةِ تُغْنِي كُلَّ مَنْ

كَمْ مَزَعَتْ أَكْبَدًا مِنَّا أَظَافِرُهَا
وَحَمَلْتَنَا رَزَايَا لَيْسَ تُحْتَمَلُ

تَحْتَالُ حِيَلَةٌ مَغْلُوبٍ لِتَسْتَرَهَا
وَنَحْنُ نَعْلَمُ ، لَوْ كُلُّ الْوَرَى

وَلَيْسَ يُجَدِّدُكَ أَنْ تَجْثُو لَنَا
فَلَيْسَ مَا جِئْتَ يَنْسَى، إِنَّهُ

(?)⁹ إشارة إلى القغاز الأبيض الذي لبسه القذافي في
يده اليمنى عند حضوره جلسة مؤتمر القمة العربي
في الرباط بالمغرب. وكان يزعم بها أنه ينزله يده
عن أن تمتد إلى الزعماء الرجعيين من الملوك
والرؤساء العرب.

باق يُورِّقُنَا ، ثَارًا يُمَزِّقُنَا
نَارًا تُحَرِّقُنَا ، فِي الْجَوْفِ
لَوْ جَنَّةَ الْخُلْدِ فِي كَفِّكَ تَمَنَحُنَا
لَسْنَا لِطُرْفَةٍ عَيْنٍ عَنْهُ نَشْغِلُ

مَاذَا نَقُولُ لِمَنْ فِي السَّجْنِ
وَمَنْ يَأْمُرُكَ يَا أَفَاقُ قَدْ قُتِلُوا

وَمَنْ يَسُوطِ عَذَابٍ مُزِّقَتْ
لَهُمْ ، وَمِنْ حُرْقَةٍ سَأَلَتْ دَمًا

وَمَنْ زَجَجَتْ بِهِمْ فِي الْحَرْبِ
لَكِنَّهُمْ ذَهَبُوا يَوْمًا وَمَا قَفَلُوا

وَمَا نَقُولُ لَأُمَّ رُوِّعَتْ جَزَعًا
وَفِي دُجَى اللَّيْلِ مَا تَنَفَّكُ

لله حتى ترى يوماً يبرد ما
في جوفها من لظى العُقدان
وما نقول لأيتام جلبت لهم
حزناً به عن نعيم العيش قد

إذ يسألون، فنغضي غصة
آبائهم، أين هم راحوا، ولم

لا.. لن نقول لهم خارت
ولن نقول لهم: لم ندر ما

ولن نقول: نسينا ما فعلت بنا
كلاً.. فليس يأن ننسى لنا قبل

طعم المرارة باق في
والجرح ليس يغير الثأر يندمل

إِنَّا وَرَاعَكَ، سَيْفُ اللَّهِ فِي يَدِنَا
نَسْعَى إِلَيْكَ، وَنَدْرِي أَنَّا نَصِلُ
فَالْحَقُّ غَايَتُنَا، وَالْحَرْبُ التُّنَا
نَمْضِي وَهَمَّتْنَا يَا لَلَّهِ تَتَّصِلُ

هَيْهَاتَ.. هَيْهَاتَ.. تَبْغِي مَهْرَبًا
فَاتِ الْأَوَانَ.. وَسَدَّتْ دُونَكَ

موكب الحق

مارس 1989

إِنَّهُ الْمُسْتَعَانُ وَهُوَ النَّصِيرُ
صَغَرَ الظَّالِمُونَ ، وَهُوَ الْكَبِيرُ

فَاعْقِدُوا الْعِزْمَ ، يَا رِجَالَ ،
وَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا ، ثُمَّ سِيرُوا⁽¹⁰⁾

هَا قَدْ أَعَدْتُمْ لَهُمْ مَا
وَعَلَى النَّصْرِ إِنَّهُ لَقَدِيرٌ

⁽¹⁰⁾ الخطاب للضباط والجنود الذي كونوا جيش التحرير الوطني وكانوا يعدون أنفسهم للزحف نحو ليبيا لإسقاط النظام. وقد أقيمت هذه القصيدة في مهرجان أقيم في العاصمة التشادية (انجامينا).

لَا تَقُولُوا إِنَّا قَلِيلُونَ عَدَا
أَوْ تَقُولُوا إِنَّا الْعَتَادُ يَسِيرٌ
كَمْ قَلِيلٌ عَدِيدُهُمْ هَزَمُوا
وَهُمْ فِي الْعِيَانِ جَمْعٌ غَفِيرٌ

وَبَسِيرٌ عَتَادُهُمْ حَسَمُوا النَّصْرَ
عَلَى مَنْ لَهُ الْعَتَادُ الْكَثِيرُ

أَنْتُمْ الْأَكْثَرُونَ ، إِنْ صَدَقَ
وَلِلْحَرْبِ أَحْكَمَ التَّدْيِيرُ

وَتُبْتَمُ يَوْمَ اللَّقَاءِ رَجَالًا
يَقْلُوبُ لَا تَنْتَنِي أَوْ تَخُورُ

أَيُّهَا الزَّاحِفُونَ فِي مَوْكِبِ
أَلَا إِنْ زَحَفَكُمْ مَنْصُورٌ

يَكُمُ الْيَوْمَ قَدْ تَعَلَّقَتِ الْأَمَالَ
وَاسْتَبَشَرْتُ هُنَاكَ الصُّدُورُ
وَإِلَيْكُمْ كَمْ بَاتَ يَرْنُو يَشُوقُ
وَطَنَ ضَائِعٍ، وَشَعْبَ أَسِيرٍ

أَلْهَبَتْ ظَهْرَهُ السَّيَاطُ وَأَمْسَى
وَهُوَ فِي قَيْدِ عَجْزِهِ مَأْسُورُ

وَاسْتَبَدَّتْ بِهِ شَرَاذِمُ سُوءٍ
دِينِهَا الْفِسْقُ وَالْخَنَا وَالْفُجُورُ

وَادْلَهَمَتْ عَلَيْهِ سُودُ الدَّوَاهِي
وَاسْتَوَى فِي سَمَائِهِ الدِّيَجُورُ

هَا هُوَ الْيَوْمَ يَرْفَعُ الرَّأْسَ حَيًّا
وَعَلَى قَيْدِهِ اللَّعِينُ يَثُورُ

هَبَّ لَمَّا وَقَفْتُمْ الْوَقْفَةَ
دَمًا صَاحِبًا، وَصَدْرًا يَمُورُ
يَدْفَعُ الْحُزْنَ ، يَنْفُضُ الْيَأْسَ ،
غَيْرَ صَعْبٍ لَهُ الْمَرَامُ الْعَسِيرُ

وَبَرَى الْمُقِيلَ الْمُبَشِّرَ مِلءَ
يَزْهُو بِهِ صَبَاحَ مَنِيرٍ

يَوْمَ تَتَدَكُّ لِلطُّغَاةِ حِصُونُ
يَوْمَ يَعْلُو لِلثَّائِرِينَ زَيْبِرُ

وَتُرْجُ الدُّنَى طَلَائِعُ جَيْشِ
وَطَنِي تَجِيشُ فِيهِ الصُّدُورُ

غَضَبًا عَارِمًا ، وَنَارًا تَلْظَى
يُلْهَبُ الظَّالِمِينَ مِنْهَا السَّعِيرُ

وَإِلَىٰ لَيْبَا يَعُودُ بَنُوهَا
وَبِهِمْ لَهْفَةٌ اللَّقَاءِ تَطِيرُ
حَوْلَهَا يَرْتَمُونَ ، فِي حِضْنِهَا
يَرُوبِهِمُ الْحَنَانُ الْكَبِيرُ

يَجِدُ التَّائِبُ الْمَشْرَدُ طَعْمَ
يَلْقَى شِفَاءَهُ الْمَقْهُورُ

وَبِرَى النُّورِ بَعْدَ عُمُرِ عَذَابِ
ضَاعَ فِي ظُلْمَةِ السُّجُونِ

وَبِذُوقِ الْحَيَاةِ قَلْبٌ مَعْنَى
وَبِشَمِّ الْهِنَاءِ قَلْبٌ كَسِيرُ

أَيُّهَا التَّائِرُونَ كَيْ يَرْبُو الْخَيْرُ،
وَتَجْتَثُّ مِنْ رَبَانَا الشَّرُّورُ

نَحْنُ جُنْدُ الْإِنْقَازِ ، مِنْ أَجْلِهِ
وَنَسْعَى ، وَهُوَ الشُّعَارُ الْأَثِيرُ
فَلْيَكُنْ عَهْدُنَا الْمَقْدَسُ عَهْدَ
مِنْ طَاهِرِ الدِّمَا مَمْهُورِ

أَنَا لَنْ تَنَامَ مِنَّا جَفُونَ
أَوْ يَرَى الْغَمْدَ سَيَفِنَا الْمَشْهُورُ

قَبْلَ أَنْ تَنْجَلِيَ الْغَمَامَةَ عَنَّا
وَإِلَى أَصْلِهَا تَعُودُ الْأُمُورُ

وَطَنَ يَزِدُّهُي يَابُنَائِهِ الشَّمُّ ،
وَشَعْبَ لَهُ الْقَرَارُ الْأَخِيرُ

شمسنا لا تعرف الأفول

ديسمبر 1989

لَوْ كُلُّ شَمْسٍ أَقَلَّتْ..
فَشَمْسُنَا لَا تَعْرِفُ الْأَفُولَ.

* * *

لَوْ كُلُّ مَنْ أَمَسَكَ سَيْفًا..
كَفَّهُ تَلَعَثَمَتْ..
وَاتَّسَعَتْ فِي قَلْبِهِ الْفَارِغُ بِقَعَةُ الدُّهُولِ..
إِذْ كَشَّرَتْ عَنْ نَائِبِهَا الْحَرْبُ..
وَزَلْزَلَ الْقَلْبُ..
وَصَفَّرَتْ رِيحُ الْهَلَاكِ فِي سَنَائِكِ الْخِيُولِ..
فَإِنَّا فِي تُرْبَةِ الْحَقِّ الَّذِي أَنْبَتْنَا..
سَوْفَ تَظَلُّ هَامُنَا مَرْفُوعَةً..
جَذُوعُنَا ثَابِتَةً الْأُصُولِ..

وَإِنَّ كِبْرِيَاءَنَا..
فِي حَضْرَةِ الْخَوْفِ الَّذِي مَدَّ عَلَيَّ هَذَا
الزَّمانِ ظِلَّهُ..
سَوْفَ تَظَلُّ تُرْفُضُ الْمُثُولُ..

* * *

مَهْمَا غَدَتْ صَرَخَاتُنَا..
أَنَا تَنَا .. آهَاتُنَا..
فِي سَمْعِ هَذَا الْعَالَمِ الذَّاهِلِ عَنِ صَوَابِهِ..
تَضِيعُ مِثْلَمَا تَتَهَيَّرُ الْقَطْرَةُ فِي مَهَابِطِ
السُّيُولِ..
فَإِنَّا سَنَرْفُضُ الصَّمْتَا..
وَسَوْفَ يَبْقَى صَوْتُنَا يُنَازِعُ الْمَوْتَا..
حَتَّى يَكُونَ يَوْمُنَا الْقَادِمُ لَا مَحَالَةَ..
فَتَسْتَوِي الْمَقَالَةَ.
وَيَسْمَعُ الْعَالَمُ مَا نَقُولُ.

سؤال

مايو 1990

رَفَرَقْتُ يَا بُنَيَّ فِي عَيْنِي
وَاشْتَدَّ فِي قُودِي الْوَجِيبُ

إِذْ بَدَأَ لِي سُؤْلُكَ النَّاعِمُ
عَصِيًّا ، وَاحْتَرْتُ كَيْفَ أُجِيبُ

لِمَ أَضْحَيْتَ لَا تَقْرُ لَدَيْنَا
وَإِذَا جِئْتَ ، عَاجِلًا مَا تَغِيبُ؟

أَيْنَ تَمْضِي؟ وَمَا يَشُدُّكَ عَنَّا؟
أَمْ سِوَانَا لَدَيْكَ شَيْءٌ حَيْبُ؟

يَا صَغِيرِي.. فِدَاكَ قَلْبِي
فَارْفُقْنِي بِي، كَفَاكَ هَذَا

لَسْتُ تَدْرِي أَنْ كُلَّ شَهَقَةٍ حُبٌّ
مِنْكَ سَهْمٌ شِغَافَ قَلْبِي

لَا تُلْمَنِي .. لِأَجْلِ عَيْنِكَ هَذَا
أَيُّ، هَذَا التَّشْرِيقُ وَالتَّغْرِيبُ

لَكَ مَا ضَاعَ مِنْ نَضَارَةِ عُمْرِي
لَكَ هَذِي الْغُضُونُ، هَذَا

لَكَ مَا جَبْتُ مِنْ بَعِيدِ الْمَسَافَا
تِ، وَذَاكَ النُّزُولُ، ذَاكَ

وَمُرُورِي مَا بَيْنَ كُلِّ مَطَارٍ
وَمَطَارٍ كَمَا يَمُرُّ الْمُرِيبُ
لَكَ مَا زَلَزَلْتُ كَيَانِي مُلِمًّا

ت، وناخت على فؤادي كروب

لك ما دفت من صنوف
ت، وضقت أمام عيني

لك ما ضمنى بعيداً بعيداً
مضجع موحش، وليل كئيب

أطرد الفكر لا يفارق جفني
وأنادي الكرى فلا يستجيب

ومعي طيفك الحبيب أناجيه،
وقلبي يكاد شوقاً يذوب

أسأل النفس: هل تراه
أم عليل يدعى إليه الطيب

أَمْ تَرَىٰ أُمَّهُ تَعِيدُ عَلَيْهِ
كَيْ تَسْلِيَهُ: كُلُّ آتٍ قَرِيبٌ

وَتَتَاغِيهِ كَيْ يَنَامَ فَتَغْفُو
وَهِيَ تَدْعُو: مَتَى يَعُودُ

يَا صَغِيرِي.. وَكَيْفَ تُدْرِكُ أَنِي
عَنْكَ أَنَايَ لِكَيْ إِلَيْكَ أُووبُ

ذَاتَ يَوْمٍ وَفِي حَقِيبةٍ أَسْفَا
رِي هَدَايَا يَهْنُ نَفْسًا تَطِيبُ

تَاجٌ مَجْدٍ يَزِينُ جِبْهَتَكَ الْغَرَا
ءَ فَخْرًا، وَثَوْبٌ عَزٌّ قَشِيبُ

وَأَحَادِيثُ، يَا صَغِيرِي، سَتَبْقَى
لَكَ ذُخْرًا لَا يَعْتَرِيهِ النَّضُوبُ

الساعة الأخيرة في حياة الورفلي..

يونيو 1990

(1)

أَهَذَا عُرْسٌ أَمْ مَا تَمْ؟
ما بالُ جَحِيمِ الحُزْنِ الكَامِنِ..
تَحْتَ رَمَادِ الفَرَحِ المُقَحَّمِ..
يَخْتَارُ اللَّحْظَةَ كَيْ يَتَفَجَّرَ فِي قَلْبِي المُفْعَمِ..
وَسَطَ تَظَاهِرَةَ الأَفْرَاحِ..
ما لي تَهْجُرُنِي البَهْجَةُ..
إِذْ يَتَجَمَّهَرُ حَوْلِي الهَمُّ..
فِي هَذَا العُرْسِ المُنْذِرِ بِهَطُولِ الأَتْرَاحِ..
ما لي لا أَبْصِرُ..
وَسَطَ جُمُوعِ المُحْتَفِلِينَ ..
سِوَى أَشْبَاحٍ؟
ما بالُ زَغَارِيدِ النَّسْوَةِ..
تَتَحَوَّلُ فِي أُذُنِي نُوَاحٍ؟

* * *

ما هَذَا عُرْسٌ.. بَلْ مَا تَمُّ..
أَدْفَعُ مِنْ عُمْرِي كَيْ أَعْلَمُ..
ما هَذَا الْكُرْسِيُّ الْمَرْفُوعُ عَلَى تِلْكَ الْخَشَبَةِ؟
وَالْحَبْلُ الْمَتَدَلِّي مِنْ قَبْضَةِ مَلِكِ الْمَوْتِ..
سَيَضِيقُ عَلَى آيَةِ رَقَبَةٍ؟
مَنْ سَوْفَ يُعَلِّقُ فِي ذَا اللَّيْلِ..
وَمَنْ سَيَكُونُ السَّفَاحُ؟

* * *

مَنْ هَذَا الْقَادِمُ يَدْعُونِي..
أَصْدِيقٌ - يَا وَيْلِي - هَذَا..
أَمْ هَذَا قَبَاضُ الْأَرْوَاحِ؟

* * *

ما أَبْشَعَ هَذِي اللَّحْظَةِ..
أَيْنَ تَرَاهَا كَانَتْ مُخْتَبِئَةً؟
ما كَانَتْ تَخْطُرُ فِي بَالِي..

وَأَنَا أَتَعَاطَى كَأْسَ النَّشْوَةِ..
ثَمِلًا يَدْمُوعَ الْبَاكِينَ..
وَأَنَا أَصْفَعُ، أَجِلِدُ، أَقْتُلُ..
يَدَيَّ ضِعْفَاءَ وَمَظْلُومِينَ.
(2)

هَا أَنَا أَمْضِي لِحَتْفِي..
جَاءَتِ السَّاعَةُ..
لَا يَنْفَعُ أَنْ أَنْظُرَ خَلْفِي..
سَتَلَاقِينِي تَبَارِيحُ الْأَيَّامِ..
وَضَرَاعَاتُ الْيَتَامَى..
وَتُلَاقِينِي وَجُوهٌ كُنْتُ قَدْ جَرَعْتُهَا أَكُوسَ
عَسْفِي..

* * *

وَي.. كَأَنِّي أَسْمَعُ النَّفْخَةَ فِي الصُّورِ..
وَهَذِي سَاعَةُ الْحَشْرِ..
يَقُومُ الْمَيِّتُونَ..

وَأَرَانِي وَكِتَابِي فِي شِمَالِي..
ذَاهِلًا، أَعْجَزُ عَنْ رَدِّ السُّؤَالِ..
وَالَّذِي أَوْقَعَ بِي يُنْكِرُنِي..
يا إلهي..

هُوَ مَنْ أَوْرَدَنِي دَرْبَ الضَّلَالِ.

* * *

فُضِي الأَمْرُ..
وَقَدْ فَاتَ أَوَانُ النَّدَمِ الصَّالِحِ..
مَا يَنْفَعُ أَنْ أَعْتَذِرَ اليَوْمَ وَأَنْدَمُ..
هَا أَنَا يَلْفَحُ وَجْهِي وَهَجُّ النَّارِ..
تَزُولُ الظُّلْمَةُ السُّودَاءُ عَنْ عَيْنِي..
فَاعْلَمْ..

أَنْ مَأْوَايَ جَهَنَّمَ..
أَنْ ..

مَأْوَايَ ..
جَهَنَّمَ..

المحتويات

7	تقديم
11	قطار الموت
15	إن لم يتغير ما فينا
21	فإلام السكوت
25	عجباً ماذا تنتظرون
29	سوف نحيا
35	نحن آتون
39	هكذا يكون الغداء
43	أنعم الله عليها بشهيد
47	قفوا للظلم
51	بارك الله جمعكم يا رجال
59	إلى مايو
63	حتام يا وطني
71	يا شهر أبريل
79	شبح السقوط

- [85.....ستعودين](#)
- [89.....هي الحرب](#)
- [93.....ما لعمرى عليك أنت الملام](#)
- [99.....البشرى](#)
- [107.....الجرح ليس بغير الثأر يندمل](#)
- [113.....موكب الحق](#)
- [119.....شمسنا لا تعرف الأفول](#)
- [121.....سؤال](#)
- [127.....الساعة الأخيرة في حياة الورفلي](#)